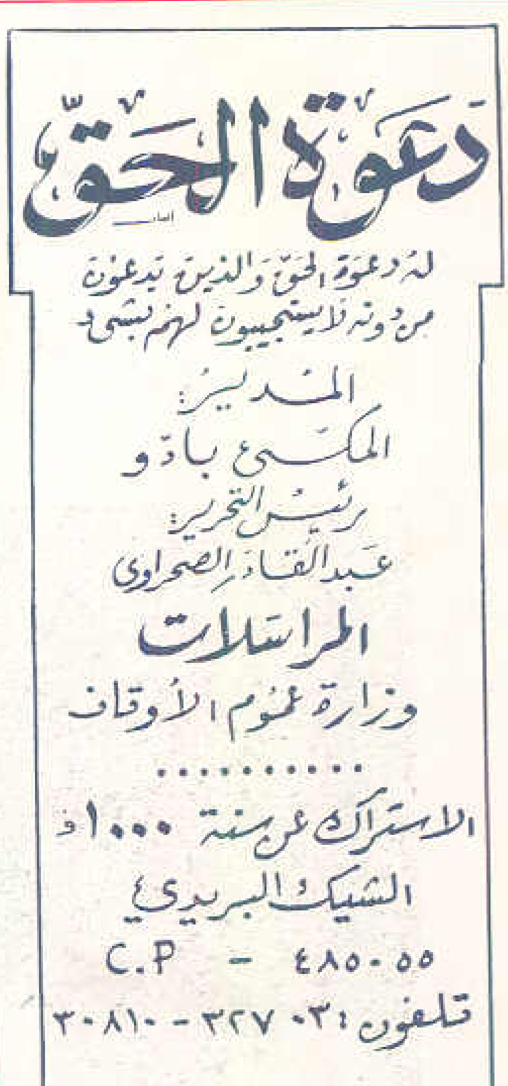



مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط
المغرب الأقصى

العدد السادس
السنة الأولى
جمادى الأولى ١٣٧٧
دجنبر ١٩٥٧







احتفل الشعب المغربي في يوم 16 من شهر نونبر المنصرم بعيد الانبعاث، او ذكرى عودة جلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله .

كما احتفل في يوم 17 بعيد الاستقلال ، الذي من اجله ذاق جلالة الملك واسرته الكريمة مرارة الغربة والنفي ، ومن اجله ثار الشعب ثورته الدموية الكبرى .

وفي يوم 18 احتفل الشعب بالذكرى الثلاثينية لتتويج جلالة ملكه ، وارتقائه عرش اسلافه الكرام المقدسين .

ثلاثة ايام مجيدة في تاريخ المغرب الحديث ، يحتفل الشعب بها متتابعة ، بل يحتفل بها جميعا في احتفاله بكل واحد منها ، ذلك لان الاستقلال والعرش وعودة الملك ، كانت دائما متلازمة في ضمير الشعب منذ اعلن الثورة ، وكان يكافح من اجلها جميعا دون محاولة لتحليلها او تمييزها عن بعضها .

وعندما تعطل العرش ، صمم الشعب المغربي ان يقفل اذنيه عن كل نداء ، وان يرفض كل تلويح بالاصلاح او الاستقلال او غير ذلك ، ما لم يكن على اساس ان يعود للعرش اعتباره ومجده وقداسته ، وان يعود الى ارض الوطن جلالة الملك الذي حاول الاستعمار بكل الوسائل ان يحمله على التخلي عن شعبه وخذلانه ، فكان جوابه : رب السجن احب الي مما يدعونني اليه .

وعاد الملك يزف الى شعبه بشرى خلاصه وحريته واستقلاله ، وشاءت العناية الالاهية ان يقترن كل ذلك بذكري تتويج جلالة الملك ، فكانت الاعياد الثلاثة المجيدة ، عيد الانبعاث ، وعيد الاستقلال ، وعيد العرش .

وكانت هذه السنة حافلة بالاعمال العظيمة والمشروعات الكبيرة ، حافلة بالانتصارات الوطنية في الداخل والخارج، كما كانت من بعض نواحيها الاخرى، امتحانا لايمان الشعب وحكمته ورزانته ، وامتحانا لحزم الحكومة وقوتها وثقتها بالشعب ، فكأن من المنتظر ان يكون خطاب العرش في هذه السنة ، طويلا ممتعا ، مليئا بالامل في مستقبل زاهر ، وفي حياة رغدة كريمة ، يجني فيها الشعب ثمرات كده وكفاحه وصبره وتضحيته .

واحتشدت جماهير الشعب الغفيرة من كل قرية ومدينة في اطراف المغرب ونواحيه ، لتتملى من طلعة العاهل الكريم ، ولتستمع الى الخطاب الذي اعتادت ان تنتظره في كل سنة ، لتستعرض مع ملكها كفاح سنة مضت ، وبرامج سنوات مقبلة .

وصفق الشعب لكل فقرة في الخطاب ، لانها تذكره بنصر قد تم بالفعل او تبشره بنصر ينتظره في المستقبل القريب .

وقد اذيع الخطاب مرارا ، ونشرته كل الصحف اليومية والاسبوعية ، ومع ذلك فنحن ننشره على صفحات هذه المجلة تعميما للفائدة في الداخل والخارج ، وتيمنا بالخطاب المولوي الكريم .

ونغتنم هذه الفرصة ، فنجدد تهانينا القلبية الحارة لجلالة الملك واسرته الكريمة ، وللشعب المغربي قاطبة ، بالاعياد الثلاثة المجيدة ، عيد الانبعاث ، وعيد الاستقلال ، وعيد العرش .

**صورة الغلاف**

تمثل الصورة رواقا من اروقة بعض القصور التي شيدت حديثا بالمغرب .

انه يذكر بقصر الحمراء بغرناطة، وغيره من القصور المنبثة في الاندلس والمغرب .



# خطاب العرش



رعايانا الاوفياء :

تحتفل اليوم بذكرى مرور ثلاثين سنة على تربعنا فوق عرش اسلافنا الاكرمين ، وانها لذكرى تفضل الذكريات ، لانها تعيد الى الاذهان جهاد جيل كامل ونضاله لتحقيق شتى الاماني التي كانت تتراءى كالسراب . وليس احد منا بحاجة الى تذكيره بفواتح هذه الفترة وخواتمها وماتخللها من صراع بين الحق والباطل، فجلنا عاش فيها واصطلى بحرها وعانى مشقاتها، واكثرنا اصيب اثناءها في نفسه او اسرته او ماله او فيها جميعا. وان الواجب ليفرض علينا ان نتوجه بادىء ذي بدء بالحمد والشكر الى الله العلي القدير الذي هدانا السبل المستقيمة وحبانا التوفيق والتسديد حتى

انجزنا الاماني وحققنا الرغائب واثمر الكفاح الذي خضناه على راس شعبنا ثمرته الطبيعية المنشودة الا وهي الاستقلال والوحدة ، والتقدم المطرد الشامل لسائر الميادين .

### حاضر عظيم يتلاءم مع ماض عظيم

ومنذ طوق الله عنقنا بامانة الملك ، واختارنا لقيادة هذه الامة ، وضعنا نصب عيننا ان نخلق لها حاضرا عظيما يتلاءم مع ماضيها العظيم ، وان ننقذها من الورطة التي اوقعها فيها ضعف من الداخل وتآمر من الخارج ، ورغم ما كان يحيط بجسمها من سلاسل ، ويثقل كاهلها من اغلال ، فان قلبنا ظل عامرا بالثقة لا يخامره قنط من رحمة الله ، او يأس من كرم فى طباع المغاربة يجعلهم يستجيبون لداعي الاحياء ، فكان الايمان بالله والامل فى الشعب اكبر مشجع لنا على وضع برامج الانقاذ والانعاش ، وخير معين على تنفيذها مهما كلف التنفيذ من تضحية واوجب من فداء ، حتى امكننا ان نقضي على عهد مليء بالفواجع والاكدار ، وان ننشيء مغربا جديدا تدب فيه الحيوية ويفعمه النشاط ويعمه الامن والاستقرار ويدفعه طيب الاعراق الى الامام ، نحو مصير محترم كريم .

### ... لنحاسب انفسنا

رعايانا الاوفياء :

لقد الفنا ان نغتنم فرصة عيد العرش ، لنحاسب انفسنا على ما انجزناه خلال سنة ماضية ، ولنعلن عما ننوي انجازه فى سنوات مقبلة لصالح هذه الامة ، مشيرين الى اهم ما يشغل بالكم من القضايا والمشاكل التي تستوجب العناية وتقتضي الاهتمام ، وان السنة الماضية كانت حافلة بالاحداث عامرة بالمنجزات مليئة بما بذل فيها من جهود لتعزيز سيادة المغرب فى الخارج، وتثبيت دعائم السلطة والقانون فى الداخل .

### تدعيم الاستقرار

ففي الميدان الداخلي ، انصرفنا الى تدعيم لاستقرار ، وتلافي المشاكل العديدة المتولدة عن ممارستنا للحرية والاستقلال ، لنضمن للبلاد امكانيات النماء والازدهار ، وتمتع المواطنين بالحياة الحرة السعيدة اللائقة بكرامة الانسان ، وقد خطونا خطوات كبيرة نحو انشاء مؤسسات الحكم واصلاح انظمته ، واشراك الشعب فى تدبير الشؤون العامة ، فاسندنا ولاية عهدنا الى نجلنا البار الامير الحسن ، ونصبناه فيها تنصيبا شرعيا قانونيا ، والتقت فى هذا الحدث السعيد امانينا مع اماني شعبنا الذي يقدر اخلاص الامير ونشاطه فى العمل لخير بلاده ، وقد بلوناه اثناء المحنة وفى رئاسة اركان الجيش والنيابة عنا اثناء رحلتنا الاخيرة الى اوربا ، فالفيناه خليقا بتحمل المسؤوليات وعلاوة على ما نعلمه فيه من رجاحة عقل وصفاء نفس وسلامة ضمير . فقد ابينا الا ان نزوده فى خطاب التنصيب بمجموعة من الوصايا والنصائح نحن على يقين من انه سيتخذها له شعارا ويجعلها لعمله دستورا .

### مغربة الاطار الاداري

وسعيا منا فى مغربة الاطار الاداري ، اصدرنا تعليمات وتوجيهات من شانها ان تحقق هذه المغربة بالقدر الذي لا يلحق خللا ولا فتورا بالنشاط الحكومي فى ظروفنا الراهنة ، وذلك جزء من سياستنا الرامية الى تكوين اطار وطني لسائر مرافق البلاد ، يباشر الاعمال ويصرف الشؤون وفق ما تقتضيه المصلحة الوطنية ، ونحن نعلم ان الاستقلال بدون اطار هو تبعية من غير مراء ، وقد قطعنا — ولله الحمد — اشواطا واسعة فى هذا الميدان رغم ضيق الوقت وقلة الرجال ، اذ بلغت نسبة المغربة فى بعض الوزارات سبعين فى المائة وتعدتها فى ادارة الامن الوطني الى ما فوق الثمانين ، وبالاضافة الى ذلك ، استتبت السلطة فى كل مكان ، وانشانا عمالات جديدة زودت هي وسابقتها بشبكة اتصال حديثة تربط الادارة المركزية باطراف البلاد قاصيها ودانيها، وتقوى الجهازالاداري بموظفين تدربوا فى مختلف المدارس ودخلوا الى ميدان العمل وهم على بينة منه .

### امتياز هذه السنة بالامن

وامتازت هذه السنة بالامن الناشر ظله على الجميع ، فاستعادت النفوس طمانينتها ، واكبر شاهد

على ذلك ، ان المغرب اصبح مركزا لعقد الاجتماعات الدولية ، ومقصدا لعدد يتضاعف من السياح يؤمونه من مختلف جهات الدنيا ، فيدر ورودهم على اهله خيرا كثيرا . ويطيب لنا في هذا المقام ان ننوه برجال الشرطة الوطنية والقوات الاحتياطية الذين اظهروا ـ تحت ادارة رجال السلطة ـ حزما وعزما كما هو الواجب عليهم ، والمؤمل فيهم ، وقد اخرجت مدارس الشرطة عدة الاف من الرجال الذين تلقوا دراسة مهنية جعلتهم يباشرون عملهم على احسن وجه ، من الحارس البسيط الى الموظف الكبير ، وقد اتخذنا تدابير زجرية في حق طائفة من الناس اتهمت بالاستمرار في الكيد للبلاد ، وتربص دوائر السوء بها ، واسسنا لمحاكمة رؤوس فتنتهم محكمة العدل التي لن تزن الا بالقسطاس المستقيم .

## القوات الملكية المسلحة

ولا نغفل هنا عن الاشادة برجال القوات الملكية المسلحة ، الذين لم يصرفوا نشاطهم في الشؤون العسكرية وحدها ، بل تجاوزوها الى مشاريع عمرانية ، والقيام بخدمات اجتماعية كبيرة ، سيرا مع الخطة التي رسمناها للجيش يوم انشائه ، وفصلنا مجملها في خطاب القيناه يوم ذكراه الاولى ، وقد تعزز جانبه بمن تخرج من ضباط تلقوا معلوماتهم بالاكاديميات العسكرية الوطنية والاجنبية ، وعند ما استقبلناهم بقصرنا العامر ، سرنا ما لمسناه فيهم من حسن النظام ، وقوة الايمان ، ثم الحقناهم بوحداتهم ليكونوا لها اطارا نرجو ان ينمو مع الزمن بالعدد ، ويتحسن بالدراسة والمران ، كما شاهدنا عدة تدريبات واستعراضات ، دلت على ان جيشنا الفتي الناهض ، سائر بخطوات كبيرة الى الامام ، وقد اضيفت اليه قوة الجندرمة التي انشأناها وفتحنا لها مدرستين للتدريب ، وبدا معظم رجالها يباشرون الاعمال المنوطة بهم للعمل على احترام القانون ، وضمان سلامة الدولة .

## القضـــاء

وكان القضاء ولا يزال في طليعة القضايا العامة التي نوليها فائق الاهتمام ، نظرا للفراغ الذي كان يحس به افراد الامة قاطبة في مضماره ، وقد اصبح الآن حرا من كل القيود والامتيازات الاجنبية ، وذلك بامضاء معاهدتين قضائيتين مع اسبانيا وفرنسا ، وتنازل الولايات المتحدة وبريطانيا عما بقي لهما من امتيازات قديمة ، واذا كان لبعض القضاة الاجانب في محاكمنا الوطنية وجود ، فليس في ذلك ادنى مساس بسيادتنا الكاملة ، لانهم يستمدون نفوذهم من ظهائرنا ، ويطبقون مواد قوانيننا ، ونفذت الحكومة تعليماتنا الرامية الى استقلال القضاء وتوحيده ، وتوجنا هامه واكملنا جهازه بالمجلس الاعلى ، الذي اصبح يهيمن على سائر دور القضاء ويوجهها توجيها موحدا ، ويسهر على مبدا احترام القانون ، والوقوف عند حده ، سواء في الميدان القضائي ، او الميدان الاداري . وانشانا مدرسة تدريب القضاة التي تعمل على تبصيرهم بالمهمة السامية التي يتقلدونها ، وكذلك اسسنا لجنة لتدوين الفقه الاسلامي تدوينا يجعله جامعا بين يسر الاسلام ومقتضيات العصر ، ويجرده من التاويلات والشروح التي عسرت يسره وابعدت قريبه ، وقد اتمت اللجنة تدوين كتابي الزواج والطلاق اللذين يطبقان قريبا ؛ كما حضر مشروع ظهير لاصلاح المسطرة التي يجري العمل بها في محاكم القضاة ، وستشهد هذه المحاكم بذلك اصلاحا عميقا .

## التربية والتعليم

واتسع نطاق التربية والتعليم ، ونشطت حركتهما خلال السنة الدراسية المنصرمة ، فزاد عدد التلاميذ مائة واربعين الفا ، ووضعت التصميمات لتهيئة المدارس والمعلمين لنحو مائتي الف تلميذ في هذه السنة ، وفتحت الجامعات المغربية ابوابها بثلاث كليات للآداب والحقوق والعلوم ، وسندشنها بعد الرجوع من رحلتنا القريبة ، واتمت لجنة اصلاح التعليم اشغالها وعرضتها علينا ، وقد نوهنا بالمجهودات التي بذلها اعضاؤها من مغاربة واجانب ليهيئوا للاجيال القادمة ثقافة متينة مع الاخذ باحسن الاساليب البيداغوجية في تلقينها .

## تعريب التعليم

وتنفيذا لسياسة التعريب قررنا الاستعانة بمعلمي الدول العربية الذين انتدبت بعض حكوماتها جملة صالحة

منهم للعمل في مملكتنا ، الامر الذي يقوي اواصر الاخوة بيننا وبين شقيقاتنا ، كما قررنا ارسال الطلبة في بعثات الى الخارج ، وتوجيههم توجيها يتفق وحاجات الوطن .

### التعليم الاسلامي

ومحافظة على تراث الاسلام والحضارة العربية ، بقي التعليم الاسلامي يشغل جانبا من تفكيرنا وجهدنا ، مثلما كان منذ سنين طويلة ، فبرامجه في تطور ، وعدد طلابه يكثر ، ومدارسه ومعاهده في زيادة واتساع ، ونحن نؤمن بفائدته الكبيرة ، لانه يهيىء للدولة طرفا من رجال القضاء والتعليم وغيرهم ، كما يخرج للامة القائمين بشؤون العبادة ، وامتازت هذه السنة بتخرج اول فوج من الفتيات المحصلات على العالمية من جامعة القرويين ، وهذا حدث يبعث على الرضى والسرور .

### بناء المغرب يتطلب شبانا اقوياء

ومثلما نرغب في تربية العقول بالتعليم نرغب في تربية الابدان بالرياضة ، فالاجسام العليلة لا تضم الا عقولا عليلة

وان بناء المغرب الجديد يتطلب شبانا اقوياء حسا ومعنى ، وهذا ما يسعى لتحقيقه قسم الشبيبة والرياضة بما ينشىء من نواد ويقيم من مخيمات وينظم من مؤسسات تمكن الشبان والفتيان من الحصول على رياضة بدنية وفكرية ، تجعل منهم مواطنين نشاطا

### وزارة الاحباس

ونظرا لما لنا من تعلق كبير بالدين ورغبة في تيسير سبله على المومنين ، شيدنا عدة مساجد وجددنا اخرى، ورفعنا اجور الموظفين الدينيين ، واخذنا باستعمال الوسائل الحديثة من صحافة واذاعة في التعريف بمحاسن الاسلام وانارة القلوب بهديه ، وامرنا وزارة الاحباس باستثمار أموالها في المشاريع العمرانية والاجتماعية ، فساعد ذلك على تنشيط حركة البناء ، والتخفيف من حدة البطالة .

### الحق النقابي والاوفاق الجماعية

اما شؤون العملة فاننا اوليناها عناية فائقة ، وتم في بحر هذه السنة اصدار ظهيرين احدهما يتعلق بالحق النقابي والآخر بالاوفاق الجماعية ، وبذلك مكنا العملة من حقوق طالما نافحنا وكافحوا ليتمتعوا بها ، كما اصدرنا تشريعات تتلافى النقص الذي كان موجودا في الضمانات المتعلقة بالامراض الناشئة عن العمل ، وتمنع النساء والاطفال من الاشتغال بالاعمال الخطيرة ، واحللنا محل محاكم العرفاء ، محاكم الشغل المؤسسة بالانتخاب ، وفتحت مدرسة عليا لتكوين المدرسين في التعليم الصناعي ، مهمتها تخريج الاطار اللازم لتسيير مراكز التدريب المهني والاشراف الفني عليها ، وتنفيذ مقررات المجلس الاعلى للتكوين المهني ، ونحن ساعون في اصلاح مؤسسة التعويضات العائلية ، وفتح صندوق للرعاية الاجتماعية ، وقد انخرط المغرب في عدة اتفاقات دولية متعلقة بشؤون العملة ، وهو بما اصدر من تشريعات عمالية يعتبر في طليعة الدول الراقية .

### في الميدان الصحي

وشهد الميدان الصحي نشاطا متزايدا ، فقد استمرت المستشفيات والمستوصفات تؤدي واجبها الانساني نحو المجتمع ، ويسرت وزارة الصحة الفا وتسعمائة واربعة وستين سريرا جديدا في المدن والبوادي ، كما تيسر الفين ومائتين وخمسين اخرى لعشرة مستشفيات وخمسة عشر مستوصفا او مركزا صحيا هي الآن في طريق البناء ، فتبلغ الزيادة اربعة الآف ومائتي سرير جديد ، منذ سنة الف وتسعمائة وست وخمسين ، وقد امكن ملء الفراغ الذي حصل في بعض الجهات بواسطة اولي العزائم الطيبة من الاطباء الاجانب الذين يلذ لهم ان يؤدوا الواجب الانساني على الوجه الاكمل ، وتحت رعايتنا تاسس المجلس الاعلى للتعاون الوطني ، الذي تراس لجنته المركزية ابنتنا البارة الاميرة عائشة ، والهدف من تاسيسه ان تنضوي تحت علمه سائر مؤسسات البر والاحسان، ليضمن لها السير المنتظم والقسمة العادلة في المداخيل والنفقات .

### في ميدان البناء والعمران

ودابت الاشغال العمومية على اعمالها العمرانية البنائية ، فوقع شق طرق وتعبيدها ، وتعهد ما كان

منها موجودا ؛ وصينت المراسي وحسنت الشبكة الحديدية ، وانيرت مراكز كثيرة بالكهرباء ، وصرف على السكنى احد عشر مليارا امكن بها تاسيس الوف المساكن وتوزيعها على الضعفاء باكرية مناسبة ، وجرى الماء فى القنوات لسقي آلاف الهكتارات ، ونحن جادون فى تقوية الجهاز السقوي ليستفيد منه اكثر ما يمكن من الارض .

## طريق التوحيد

ويلذ لنا ان نشير الى طريق الوحدة الرابطة جنوب المغرب بشماله ، فقد انتدبنا الشباب للتطوع فى شقها فلبوا نداءنا فى اعداد وفيرة تفوق بكثير العدد المطلوب ، واظهروا خلال العمل بالانسجام مع جيشنا الملكي، عزيمة واستقامة ومهارة جعلتنا نعتقد انهم جديرون بالانتماء الى هذا الوطن العظيم ، وان ظنوننا لن تخيب فيهم اذا ندبناهم مرة اخرى لما هو اعظم واكثر ، من مشاريع عمران وطننا العزيز .

## مصالح البريد

وسارت مصالح البريد السير المؤمل منها ، سواء فى انتظام العمل او فى الزيادة فى المؤسسات ، واستعادت الدولة سيادتها على المواصلات بالغاء ما خلفه عصر الامتيازات من برد اجنبية ، وهكذا اغلق البريد الانجليزي ابوابه بطنجة وتطوان ، واوقفت شركات تلغرافية اسبانية وامريكية اعمالها ، وتسلمنا آلات ومراكز بعضها ، وسيغلق البريد الاسباني ابوابه بطنجة فى مستقبل قريب .

## فى الميدان الاقتصادي

اما عن الميدان الاقتصادي ، فان المغرب عانى بعض المصاعب خلال السنة المنصرمة ، وهو امر طبيعي يحدث لاية امة فى الفترة التي تنتقل فيها من حالة الحماية الى حالة الاستقلال ، لقد اقتضى العهد الجديد انشاء جيش وطني ، واحداث وزارات ، وتوسيع الجهاز الحكومي ، واستدعى ذلك نفقات طائلة تعين الحصول عليها من غير ارهاق المواطنين بضرائب جديدة ؛ فاصدرنا تعليمات وتوجيهات دقيقة تقضي بالمحافظة على اموال الدولة ، وعدم صرف شيء منها الا فيما فيه نفع محقق للوطن ، فامكن باتباعها وبانتهاج سياسة التقشف اخراج ميزانية متعادلة للتسيير فى ابانها، من غير تاخير، واجتناب اي تعطيل فى تجهيز البلاد .

## كانت بلادنا مقسمة

لقد كانت بلادنا مقسمة اقتصاديا مثل ما كانت مقسمة سياسيا ، وكانت جميع اقسامها خاضعة لمعاهدات عتيقة ، تجعل ابوابها مفتوحة فى وجه البضائع الاجنبية بتعريفات جمركية منخفضة ، فتعذر تصنيع البلاد ، لان الصناعة لابد لها من وقاية تحميها من المزاحمات ، وقد حصلنا على الغاء معاهدة سنة 1856 بين المغرب وبريطانيا ، ومعاهدة سنة 1861 بينه وبين اسبانيا ، فامكننا ان نضع تعريفة جديدة ، راعينا فيها ضعفاء المستهلكين مراعاة كبرى، ثم واصلنا مساعينا لتوحيد العملة فى البلاد ، وعقدنا معاهدة مع اسبانيا ضمن بمقتضاها هذا التوحيد ، فتقرر سحب البسيطة من اقاليم الشمال ، وبسحبها ينفسح المجال فى وجه الاصلاحات هناك ، بعد ان ظلت متعذرة بسبب فوارق العملة والنظام ، ويصبح للبلاد مظهر اقتصادي وحيد .

## استثمار خيرات البلاد

ان الوطن المغربي يشتمل ظاهره وباطنه على ثروات طائلة لا تقدر بثمن ، وقد استقدمنا خبراء اجانب لمساعدتنا على وضع الترتيبات اللازمة لاستثمارها والاستفادة منها خير استفادة .

## مجلس اعلى للتصميم

واصدرنا ظهيرا بتاسيس مجلس اعلى للتصميم ، مكون من جميع عناصر الشعب المغربي ، وانطنابه مهمة اعداد مشاريع واسعة لخلق نهضة كبيرة شاملة لسائر الميادين ، وسيدرس كل جانب من جوانب هذه النهضة من طرف لجنة اختصاصية ، ثم يعمل المجلس على تنفيذها خلال مرحلتين . اولا هما مستعجلة تنفذ فى ظرف السنتين المقبلتين ، وثانيتهما تبدا فى السنوات الخمس بعدهما .

## تشغيل اليد العاملة

وساهمت وزارة الاقتصاد الوطني بامر منا مساهمة فعالة فى التخفيف من الضائقة التي عرت البلاد فى اول هذه السنة ، ففتحت اوراش فى الحواضر والبوادي ، خصصت لها اعتمادات مالية مهمة، واتخذت مجموعة من التدابير قلت بها هجرة اليد العاملة الاجنبية بصفة محسوسة ، فتهيات امكانيات جديدة لتشغيل اليد العاملة الوطنية ، ولاحظنا بارتياح ، حسن تفهم العملة للاحوال التي توجب عليهم الاعتدال فى المطالب ، والقصد فى الرغائب ، فساعدوا بذلك على عودة الثقة الى نفوس عراها القنط ، فشرعت المعامل والمصانع تفتح ابوابها من جديد ، وتأسست مرافق اقتصادية جديدة.

## الاهتمام بالبادية

ولم يكن اهتمامنا بالبادية ليقل عن اهتمامنا ببقية المرافق الاخرى ، فنحن نعلم ان ثمانين فى المائة من الشعب المغربي تتكون من الفلاحين ، وكل تهاون فى شانهم يخلف اثرا ظاهرا على نشاط البلاد العام ، وقد اعدت وزارة الفلاحة على ضوء توجيهاتنا مشروعا من شانه ان يحدث تغييرا جوهريا فى مظهر البادية فى السنين المقبلة ، وهو يهدف الى قلب الاراضي الزراعية وتسميدها وزراعتها وغراستها على مقتضى احسن الطرق العصرية ، وهذا العمل يكلف هذه السنة اربعة مليارات ، وقد دشنا المشروع بخطاب القى فى حينه ، ويشمل العمل الآن مساحة تتراوح بين المائة والخمسين والمائتي الف هكتار ، ثم تتوالى الاعمال بعد ذلك ، كما تبدا هذه السنة حملة التشجير التي تستفيد منها البلاد واهلها خيرا كثيرا ، وذلك بغرس عشرة ملايين من الاشجار المتنوعة .

## تعاونيات فلاحية

وعلى العموم فاننا ماضون فى سياسة يراد منها جمع الفلاحين فى تعاونيات يتشاركون داخلها فى الاعمال، ويقتسمون الارباح ، وعلى هذا الاساس ستوزع الاراضي التي تم احصاء جملة منها فى مختلف الاقاليم على صغار الفلاحين ، وغيرهم ممن ضرب بسهم فى حركة المقاومة ومعركة التحرير .

## قرى نموذجية

كما اننا حريصون كل الحرص على تشييد قرى نموذجية لاهل البادية ، تشتمل على كل المرافق الضرورية للحياة فى مظاهرها الروحية والاجتماعية والمهنية ، وشيدنا من مالنا الخاص قرية لعمال مزرعة دار السلام ، نرجو ان تكون فيها اسوة حسنة لكبار الفلاحين ، وخلال زيارتنا الاخيرة لعمالة تازة وقفنا على الاشغال التي امرنا بانجازها فى القرى التي تضررت اثناء معارك التحرير ، وسيظل الفلاح شغلنا الشاغل حتى تتحسن حالته ، ويرتفع مستواه ، ويتناسق بتطوره ، التطور العام للبلاد .

## السياسة الخارجية

اما فى ميدان السياسة الخارجية ، فاننا واصلنا السير فى الخطة التي رسمناها لها ، وهي خطة رامية الى تعزيز مركز المغرب الدبلوماسي ، واحلاله المحل اللائق به بين الامم ، وقد استطعنا ان نربط حاضره بماضيه المجيد ، وان نلفت اليه الانظار فى المجامع والمؤتمرات العالمية ، وواجهتنا فى الاول تصفية المشاكل المعلقة بيننا وبين بعض الدول ، فتمكنا رغم المصاعب من حل بعضها بواسطة مجموعة من الاتفاقات ، واتسع نطاق تمثيلنا الدبلوماسي فامتد شرقا وغربا ، وكثر عدد السفارات والبعثات المعتمدة لدينا ، وقبل المغرب عضوا فى جل المنظمات الدولية ، وشارك فى عدد من المهرجانات والمؤتمرات بجانب الامم الحرة ذات السيادة ، وعقدنا معاهدة مع تونس التي تربطنا بها شتى الروابط الاخوية ، وتبادلنا مراسلات حبية مع ملوك ورؤساء الدول الصديقة ، وتلقينا دعوات كثيرة لزيارة بعض اقطارهم ، ونحن عازمون على تلبيتها ان شاء الله ، وزارنا هذه السنة عدد من الشخصيات السامية ، فى مقدمة الجمع جلالة اخينا سعود ، ملك المملكة العربية السعودية وقد دلت الرحلات التي قمنا بها نحن وامراء الاسرة المالكة الى الخارج ، على ما لبلادنا من مكانة طيبة، وسمعة حسنة بين الدول ، فحيثما حللنا وارتحلنا لقينا حفاوة كبرى ، وشواهد صداقة ومودة من الامم الشقيقة الصديقة ، كما كان لايفاد وزير خارجيتنا الى

قلب افريقيا واقصى آسيا ، اثر حسن في التعريف بنهضتنا لدى الافارقة والاسيويين .

## الخطوط الرئيسية لسياسة المستقبل

رعايانا الاوفياء :

تلك جملة من الاعمال التي انجزناها لخير وطننا وشعبنا في بحر هذه السنة ، وجملة اخرى منها يجري العمل فيها الآن ، وهي في طريق الانجاز ، ولا جرم انها اعمال عظيمة لم يكن الوصول اليها ممكنا لولا عناية الله، ومؤازرة شعبنا ، وسهر رجال حكومتنا ، والموظفين كبيرهم وصغيرهم على تنفيذ اوامرنا وتوجيهاتنا ، وان الذي ينتظرنا في المستقبل لهو اجل واعظم ، فان بناء مستقبل امة يتطلب مالا طائلا ، وامنا شاملا ، وعزائم قوية ، وخبرة واسعة ، وازمنة مديدة ، ولن ندع الفرصة تمر دون ان نطلع شعبنا الوفي ، على الخطوط الرئيسية لسياسة المستقبل ، جريا على عادتنا المالوفة في توجيه الافكار وتنسيق الجهود .

## حكم ديموقراطي نزيه

فاهتمامنا منصرف الان الى انشاء حكم ديموقراطي نزيه ، مستمد في آن واحد من تعاليم ديننا ، وتقاليد ماضينا ، ونظم العصر القويمة ، وغايتنا منه اقامة نظام ملكية دستورية ، واشراك الشعب في تسيير الشؤون ، وسوف يتم ذلك بانتخابات تجري على مراحل ، ونحن معتمدون على نبل الشعب المغربي في ان تكون التجربة التي سيدعى اليها تجربة مثمرة ، وان تجرى الانتخابات البلدية المقبلة في دائرة الهدوء والتعقل ، وان تكون مدعاة للتعاون والوئام لا سببا في التخاذل والخصام

## سواد الشعب

وستواصل الجهود لتشييد صرح نظام اقتصادي يدعم قواعد الاستقلال ولا شك في ان ذلك يقتضي عملا متواصلا ، وستبقى عنايتنا موجهة دائما نحو اولائك الذين يكونون سواد الشعب المغربي وهم الفلاحون، ومن شان الاصلاح الفلاحي الذي بدا هذه السنة ، والذي سيتسع مع الايام ان يكفل للفلاحين المغاربة تجهيزا جديدا ، ونظاما تعاونيا متينا ، يرفع مستواهم المادي والادبي ، ويوم تصبح الاغلبية من رعايانا تشعر بنمو انتاجها ، وارتفاع دخلها ، ستكون الرفاهية قد بسطت على المغرب ظلالها ، ونشرت في اجوائه اعلامها .

## تصنيع البلاد

وبالاضافة الى ذلك ، ستواصل السعي لتصنيع البلاد بما يوافق حاجاتها واستعداداتها الطبيعية ، واهم الصناعات التي نريد انشاءها ، هي صناعة المواد التي تستهلك يوميا ، وكذلك الصناعات التي تحول المواد الاولية الموجودة في المغرب ، وتدخل عليها تحسينات وتكييفات، اذ الواجب يقضي بعدم تصديرها الى الخارج وهي مواد خام ، ومثل هذا يستدعي تنمية قوة الصهر والتحريك ، اذ لا يمكن ان تكون لنا صناعة حقيقية ما دام ثمن القوة الكهربائية متجاوزا لثمنها عند الامم المتقدمة .

## اعداد الاطارات

وليس في مقدورنا ان نحقق نهضة فلاحية او صناعية الا باعداد الاطارات الكافية للقيام بها حسب تصميم مدقق ، واذا كانت المشاكل المالية تصادف حلولا بواسطة موارد داخلية ، وقروض خارجية ، فان مشكلة الاطارات داخلية بحته ، ولا يعتمد في حلها الا على المواطن ، ولهذا ستشغل هذه المشكلة جزءا من التصميم المستعجل ، والتصميم الواسع ، ومن الواجب لحلها تكوين مدارس فنية ، وايفاد بعثات الى الخارج ، واذا علمنا ان الدول الراقية التي لها ماض صناعي قديم ، اصبحت اليوم تحس بنقص في ميدان التكوين الفني . فما بالكم بالمغرب الذي هو على عتبة نهضته الصناعية. وهذه الحقيقة تبين لنا اهمية المجهودات التي تنتظرنا في المستقبل، لنصبح في مصاف الدول العظمى، اذ المستقبل انما هو للصناعات الفنية والتكوين التقني .

## نداء للشباب

وانا نهيب بشبابنا النشيط ، الى الاقبال على العلوم ، والتخصص في الصناعات والتمرس بالآلات . شاعرين بما القاه الاستقلال على كواهلنا من مسؤوليات

جسيمة، عامين الجهود لتحقيق الرخاء وتعميم الازدهار عالمين ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، عاملين على احراز النصر فى المعركة الاقتصادية التي نخوضها بنفس العزيمة التي احرزنا بها النصر فى المعركة السياسية التي خضناها ، ولنعتبر بما يقع للامم المتاخرة اقتصاديا ، فانها كثيرا ما تساوم على حريتها السياسية بالمال ، نعم سيتحمل المغرب راضيا كل تضحية وقناعة وعزوف عن الكماليات ، الى ان توتى النهضة الاقتصادية المنشودة ثمراتها باذن الله .

## الشؤون الاجتماعية

ومن الطبيعي ان يسير اهتمامنا بالشؤون الاقتصادية جنبا الى جنب مع اهتمامنا بالشؤون الاجتماعية ، كتعميم التعليم فى الحواضر والبوادي ، وايجاد الشغل للعاطلين ، وتهيئة السكنى ، واعداد الوسائل الكافية للمحافظة على الصحة .

## الجيوش الاجنبية ومشكلة الحدود

اما فى الميدان الخارجي ، فاننا نريد ان تكون سياستنا فيه مرءاة لسياستنا الداخلية ، فالجهود ستواصل لتدعيم الاستقلال ، وتثبيت اركان السيادة فى معاملتنا مع الدول ، والنشاط سيضاعف لتصفية ما بقي من المشاكل بغير حل، سيما مشكلة وجود الجيوش الاجنبية ومشكلة الحدود ، فليس من المعقول ان يستمر وضع الجيوش الاجنبية على ما كان عليه فى الماضي ، ولا بد من الوصول فى شانها الى حل يتفق وكرامة البلاد وسيادتها ، كما اننا نرغب فى استعادة حدودنا الثابتة لنا بحكم الجغرافية والتاريخ ورغبات السكان .

## الامم المتحدة

ويرتكز الاتجاه الذى رسمناه لسياستنا الخارجية على مبادىء قارة : منها العمل داخل اطار الامم المتحدة، فنحن من الشعوب التي تعضد ميثاقها ، وتحترم مبادئها ومقرراتها ، وترغب فى حل المشاكل على طريق المفاوضة لا عن طريق العنف .

## احترام التعهدات والالتزامات

ومن هذه المبادىء ايضا احترام التعهدات والالتزامات التي ابرمناها ونبرمها عن طيب خاطر ، والتي لا تمس مطلقا بسيادتنا ، ومنها احترام حرية الشعوب ، والعمل على تحقيق امانيها المشروعة .

## الجزائر الشقيقة

ونريد ان نؤكد هنا موقفنا من قضية الجزائر الشقيقة التي هي بعض من كل هذا المغرب العربي . فنحن نؤيد دائما رغبتها فى الحرية والاستقلال ، ونعد هذا التاييد مما يدخل فى التزاماتنا نحو ميثاق الامم المتحدة والمبادىء المتعلقة بحقوق الانسان ، وحرية الشعوب فى تقرير مصايرها ، ونكرر رجاءنا فى ان يهتدي المسؤولون الى حل عادل سلمي يحقن الدماء ، ويضمن المصالح العليا للطرفين ، وبذلك تستعيد اقطار الشمال الافريقي الثلاثة امنها واطمئنانها ، ويتاتى لها حينئذ ان تتعاون ـــ طبقا لما تفرضه وحدتها التي احكمتها الروابط التاريخية والجغرافية ـــ من اجل استكمال نهضتها ، والقيام بدورها فى اقرار السلم والاستقرار فى هذا الجانب الهام من حوض البحر الابيض المتوسط .

## العروبة والاسلام

ان المغرب ينتمي الى عالم العروبة والاسلام الرحب الفسيح ، وهذا الانتماء يجعله شديد الاهتمام بما يجري فيه ، متتبعا عن كثب تطور احواله ، مؤيدا قضاياه العادلة فى المنظمات الاممية ، كما انه سيسعى لتقوية ما تصله به من اواصر معنوية ومادية ، ترجع الى قرون طويلة ، وقد قررنا فتح سفارات بانقرة وطهران وكراتشي ودلهي الجديدة .

## المغرب صلة وصل بين الحضارتين الشرقية والغربية

على أن هذا الاعتبار لاينسينا ابدا وقوعنا فى غرب المتوسط وعلى الساحل الاطلسي ، وهذا ما يجعلنا حريصين على التوفيق بين موقعنا الجغرافى وصلاتنا الوثيقة مع البلاد العربية والاسلامية ، ويحدو بنا الى نهج سياسة مثلى ، تجعل المغرب صلة وصل بين الحضارتين الشرقية والغربية .

## الولايات المتحدة

وسنشرح لقادة الولايات المتحدة خلال رحلتنا القريبة اليها راينا فى المسائل المعلقة بين بلدينا ، وفى كثير من الشؤون الاخرى التي تؤمل من ورائها خدمة السلام والعدالة والاخاء بين البشر ، ولنا وطيد الامل فى ان نجد لديهم حسن تفهم ، نظرا لما يجمع بين الامتين من ود قديم يرجع عهده الى اللحظة الاولى لاستقلال الولايات المتحدة .

## الانسجام بين الامة والعرش

رعايانا الاوفياء :

منذ جلوسنا على عرش اسلافنا الاكرمين ونحن ننشد للمغرب ولكم الرقي والحرية والسلام، وقد قطعنا مرحلة كبرى من الطريق بفضل التجاوب الروحي ، والانسجام الكامل ، بين الامة والعرش ، وسيبقى هذا الانسجام وذلك التجاوب ضروريين لكل تقدم وازدهار منشود ، وان ما نلمسه يوميا من شواهد الولاء ، وآيات الاخلاص ، نحو الاسرة المالكة ، ليقوي عزمنا اكثر فاكثر على خدمة هذه الامة ، وبذل ما لدينا من جهد — بمعونة الله — حتى نبلغ بها ما نحب لها ونتمناه .

## فى الاسلام ما يكفي ويشفي

واحسن ما نستعين به على بلوغ المقاصد واحراز الاماني، خلق قويم يعصمنا من الكسل والتهور والخذلان، وفى الاسلام ما يكفي ويشفي ، وقد علمنا التاريخ ان اجدادنا المغاربة والمسلمين على العموم ، انما سادوا وشادوا بتمسكهم بالقرآن المبين ، واعتصامهم بحبل الله المتين ، ولا سبيل للمسلمين للخروج من الحالة الحاضرة واهتدائهم الى اقوم طريق الا بالرجوع الى موارد الاسلام الصافية ينهلون منها ويعلون، وسيجدون فيها الدواء الناجع لكثير من ادواء العصر السياسية والاجتماعية ، فالاسلام دين رحمة وسماحة وعدالة وسلام ، وهو يعطي للرب حقه من نشاط المرء ، كما يعطي للمجتمع والاسرة والنفس حقوقها .

فالواجب على رعيتنا المخلصة ان تتمسك بالدين، وتقطع دابر الشك بحد اليقين، وان تلجا الى الله اذا داهمتها الخطوب ، وتاخذ بسننه الكونية لنيل المرغوب ؛ ( قل هذا سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين )

## ضيوفنا الاجانب

وفى اطار هذه الاخلاق الاسلامية ، نرجو من رعيتنا ان تحسن معاملة الاجانب، ضيوفنا، كما نرجو من ضيوفنا الانسجام مع الوضع الجديد ، وان يضعوا فينا وفى شعبنا ثقتهم الكاملة ، فلن نعامل من يحترم استقلالنا الا بالاحترام الكامل لكل ما هو مقدس لديهم من نفس واسرة وعقيدة ومال .

## ابتهال

والى الله نتوجه فى الختام ضارعين متوسلين ، راجين منه سبحانه ان يصلح احوال المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، وان ياخذ بيدنا الى سبيل الرشاد ، ويقرن اعمالنا بالنجاح والسداد ، وينشر ظل السلام والطمانينة على العالم ، ويقي البشرية شرور الحروب ونزعات الاهواء — ( ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب ) — .

فى 24 ربيع الثاني عام 1377

الموافق 18 نونبر سنة 1957

# بين الجمود والجحود

2

للاستاذ الكبير
السيد المختار السوسي

وقع علي ذلك الاقتراح موقع الماء السلسبيل من صاحب الغليل ، فسرعان ما ابرقت مجيبا بالقبول ، ثم جمعت متاعي ، وزممت حقائبي ، واخذت مكاني في القطار بعد ما ارسلت الى السيد العربي هذه الرسالة :

العارف بالله السيد العربي بن محمد القاطن في سلا ، السلام والرحمة على تلك الحضرة الربانية ، والهمة القدسية ، وعلى من تشتمل عليه من الحاشية ، من الاحباب والغاشية .

اما بعد فبعد تقبيل ايديكم المباركة تقبيلة مريد مخلص ليد شيخ عالي المقام ، ظاهر الغيرة على الاسلام ، اعلمكم انني سأتشرف بالزيارة لحضرتكم السعيدة يوم الاربعاء الآتي وهو السابع والعشرون من الشهر الحالي ، كتبت اليكم لاجدكم في محلكم ، سقانا الله مما سقاكم ، واسبل علينا رضاكم ، والسلام .

23 ربيع الثاني 1340 هـ
اخوكم : فلان

طرقت باب دار السيد العربي ، فقالت الخادم انه في الزاوية ، فلم امش الا خطوات حتى رايته مقبلا ، فحييته وحياني ، ورحب بي كثيرا بوجه بشوش ثم فتح ثوى الدار ، فجلسنا في قبة فسيحة مفروشة بفرش ساذجة ، وان كانت نقية نظيفة ، وكان الوقت الحادية عشرة صباحا ، فلم نمكث كثيرا حتى عرض علي الوضوء وقال : ان الصلاة ازفت ، فانا نصلي في الزاوية الظهر زوالا ، فادينا الظهر في الزاوية ، وكان السيد العربي هو الامام الراتب ، وقد استرعى نظري اكتظاظ الزاوية بالمصلين . ثم خرجنا من الزاوية وفي يد السيد العربي سبحته الغليظة الدرقاوية ، يذكر فيها في الشارع في طريقنا الى الدار ، وعليه كساء رقيق ابيض نقي ، وعلى راسه عمامة مكورة تكويرا صناعيا على الطربوش المخزني الطويل ، وتحت الرداء قفطان فوقه فرجية ، وهي الهيأة التي لا تزال سائدة في طبقته الى ذلك الحين ، وقد صرنا نمشي ساكتين ، وطرفه الى الارض ، ولبدة حمراء تحت ابطه ، فلما جلسنا الى مائدة الغداء التي احتفل لها بانواع من الاطعمة ، افتتحت المحادثة بيننا ، وقال : ان الاخ ابراهيم كتب الي انك ستمر بي ، واخبر انك ستحضر في المجلس الذي نستتيب فيه ذلك الملحد الكافر حمادا ، ويا سبحان الله ، يخرج الميت من الحي ، فلو عرف والدنا انه سيكون حماد هكذا لربما اختار خنقه في مهده حين لا يزال صغيرا ، فان ابانا سيدي محمدا رحمه الله كان غيورا على دينه ، حتى انه في الوقت الذي كان فيه امين الديوانة في طنجة اواخر سلطنة مولاي الحسن ، كان لا يقدر ان يفتح عينيه في نصراني متى راءه ، ومتى جاء احدهم وقبل يده ، يقوم ابي في الحين فيغسل يده ، ويقول كيف المس ثوبي او مصحفي او اي كتاب بيد مست كافرا ثم لم تطهر بالماء ؟

وكان رحمه الله يحكي لنا ونحن صغار انه راى يوما مناظرة عجيبة عقدها بعض علماء فاس مع بعض علماء النصارى ، فقد ورد احدهم في اوائل دولة مولاي الحسن ، وطلب ان يجتمع بعلماء مسلمين ، فاختار له السلطان فلانا وفلانا ، وكان يسمي اولئك العلماء ، فقال لهم احدهم : دعوني فانا الزمه الحجة ، فان هؤلاء النصارى جهال ، وان وصفهم بالعلم كذب بحت ، فلما اجتمعوا بادر ذلك الفقيه فقال لذلك النصراني : اذا اشتريت معزة ، فلما اويت بها الى دارك وقفت ازاءها تقبلها ، فاذا بها ارسلت بعرة من تحت ذنبها ففقات عينك ، هل يضمن بائع المعزة عينك ؟ فبهت النصراني ولم يجد جوابا ، ومن هنا يعرف الانسان جهل النصارى ، وانهم

لايعلمون الا امور الصنائع الدنيوية، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ويا لشقاوة من اغتر بعلومهم ، وافنى في تعلمها عمره ، فانه بلا ريب لا يكون الا مثل ذلك الاخ التعس حماد الذي لا يريد الا الدنيا وزخرفها .

فتركت الشيخ حتى اتم ما يقول فقلت له : هل يسامحني سيدي ان اذاكره في بعض ما قال ؟ .

فقال لا باس ، انما هذا حديث دنيوي ، وليس بمذاكرة اهل القلوب . فقلت :

ان المسلم لا يتم اسلامه ولا يكمل ايمانه الا اذا تخلق باخلاق القرءان وباخلاق السلف، فبحقك هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل كفار عصره مثل المعاملة التي حكيتها عن المرحوم والذكم ؟ او ليس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوسع اخلاقه لهم ؟ فقد لاقى وفد بني تميم الاجلاف الذين ينادونه من وراء الحجرات بغير هذه الاخلاق ، بل جاء في القرءان انه لا باس بموادة من لا يقاتلون المسلمين في الدين ، ولا اخرجوهم من ديارهم ولم ينه عن برهم وعن الاقساط اليهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعاملهم ، فقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي ، واجاز الشارع التزوج من كتابية، وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنه صاحب مرة يهوديا في الطريق، فلما اراد ان يفارقه ودعه وداعا جميلا، فقيل له في ذلك ، فقال : ان الانسان ليسال عن صحبة ساعة ــ او كما قال ــ وكان له جار يهودي لا ينساه في حق الجوار، واليهود والنصارى لا فرق في معاملتهم بذلك الشرط المتقدم ، والاسلام دين العدل ودين الاخلاق ودين المسامحة ، فان فتحت كل الاقطار التي استقر فيها الاسلام بالسيف ، فان قلوب اهلها انما فتحت بالعدل ، بل هناك اقطار ما جال فيها سيف قط ، كالصين وجاوة واندنيسية وبعض نواح من افريقية ، قد صارت اليوم دار اسلام .

واما تلك المناظرة بين ذلك العالم النصراني مع اولئك العلماء المسلمين ، فيجب لو امكن ان تمحى من التاريخ ، حتى لا تبقى سبة خالدة في جانب علماء قطرنا هذا ، فانها تدل على جهلهم اكثر مما تدل على جهل ذلك الاجنبي ، عند كل من له قلب او القى السمع وهو شهيد والواجب على كل مسلم مخالفة غيره مع الثبات على مبدئه ودينه ، فما احل الاسلام لنا طعام غيرنا من اهل الكتاب ولا اباح لنا تزوج نسائهم الا لهذه العلة .

فقال السيد العربي :

اراك قد اسرعت الى المناظرة منذ الآن ، فقد سمعت منك ما كنت انتظر ان اسمعه من حماد ، فانه لو كان يعرف ما تعرف لكان حاجني به يوم كنت ارده عن التزوج بتلك النصرانية ، يا هذا : ان لكل نازلة زمانا ومكانا ، فلو كان هناك مسلم ثابت الايمان ، وكانت هناك كتابية لا تتغلب عليه فتفسد عليه دينه واخلاقه واولاده بعد ، لما كان في الاسلام مانع من تزوج غير المسلمة، ولكن تكفينا قضية حماد اليوم في ان ذلك لا يجوز مؤقتا ، سدا للذريعة .

فاردت ان اسلس القياد للسيد العربي ، فوافقته فيما قاله كله ، ولم اناقشه فيه ، لان معه مسحة من الحق ، والحق احق ان يتبع .

فقلت له : ان ما قلته هو عين الحق اليوم ، ولكن يجب علينا ان نربي بناتنا حتى يتهذبن ويتعلمن ، فيمكن لاولادنا الذين تعلموا التعليم الجديد ، ان يرضوا بالاقتران بهن ، والا فلا يمكن ان يتغير هذا الذي نتشكى منه الا بذلك ، كما انه يجب علينا ان نعلم ايضا اولادنا تعليما دينيا زيادة على التعليم الجديد، ليكونوا ثابتين فلا يخاف عليهم لو تزوجوا بغير مسلمة .

فلما قلت هذا ، اراد صاحبي ان يسايرني كما سايرته آنفا ، فقال :

نعم هذا هو الواجب على الامة كلها ، ولكن اين الامة ؟ فرددت صداه ، فقلت نعم ابن الامة ؟ .

هذا موجز ما دار حول مائدة الغذاء ، ثم اخذنا مضاجعنا الى العصر ، فادينها ايضا في الزاوية ، ثم طلبت منه المصاحبة الى زيارة ما يزار في المدينة ، وكنت اقصد المستشفيات والمدارس والاندية العامة ، فاذا به فهم من كلامي زيارة الصالحين ، فدار بي على اضرحة انتهينا منها بضريح ابن عاشر ، فصرت احكي لصاحبي ما اعرفه من ترجمتهم ، واردت فيما بيني وبين نفسي التنكيت عليه وعلى كل اهل طبقته ، حين لا يابهون بالحديث ولا بدراسته ، فقلت له :

اتدري ان هذا الشيخ ابن عاشر كان ينسخ كثيرا كتاب العمدة ويقتات من ثمنه ؟ فقال : هل العمدة كتاب فقه او كتاب وعظ ؟ فانني لم اسمعه قط ، الا ان تقصد كتابا رايته مرة عند اخي ابراهيم الذي جن بكتب اللهو والهزء واللعب والبطالة التي يسمونها بكتب الادب ، فقد قرات على ظهر الكتاب ، انه عمدة ابن رشيق ، فقلت له لا بل انه كتاب في احاديث الاحكام جمعها المقدسي من

الصحيحين ، وقد شرحه اناس ، من بينهم عالم فاسي، فقال لم اسمع به قط ، فقلت له وقد رئيت لخجله يكفي عن الكتاب البخاري ومسلم ، فقال نعم وقد اخذناهما عن اشياخنا رحمهم الله ورضي عنهم .

دخلنا في العشية في موضوع حماد ، وكيف يمكن ان يستنقذ قبل ان يغلق رهنه ، ويبوء بكفره ، فتاسف السيد العربي على عدم تلك القوة التي كانت تقف دائما في عصور الاسلام المزدهرة امام ارتداد المسلم عن دينه .

فقلت له : ان القوة ان اجدت شيئا في عصر من العصور فانما تجدي في ضغط الظاهر فقط ، والاسلام لا يهمه الظاهر ، فان الله لا ينظر الا لما تعقد عليه القلوب، وتطوى عليه الصدور ، فالذي يجول الالحاد في قلبه يصير امام القوة زنديقا : مسلما في ظاهره ملحدا في باطنه ، وهذا هو السر حتى لا تتاسس دعوة الاسلام على القوة ، بل على الاقناع بالحجج والبراهين المستحوذة على الافئدة ، فلا اكراه في الدين ، افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، او لا ترى ان الاسلام اذا ثارت بينه وبين قوم حرب حتى يغلبهم فانه يذرهم وما هم عليه ، فلا يتجاوز ان يدعو الى ما فيه من الافكار السامية ، والاخلاق الفاضلة بالتي هي احسن ، فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، ومن يهد الله فما له من مضل .

وهذا العصر الذي نحن فيه آخر تلك العصور المتقدمة ، فقد اطلقت فيه الحرية وصار الانسان يعتنق كل ما شاء ، وزخرت فيه دواعي الالحاد والتهتك ، وانطوى فيه ما كنت تعرفه في تلك العصور ، فلم يبق في ايدي اصحاب الغيرة الا التبشير والانذار ، وتتبع اساليب القرآن في ذلك ، وارخاء العنان في المحاورة والمناظرة ، ومحاولة اسر القلوب بما يظهر في كل وقت من اسرار الطبيعة ومن المكتشفات والمخترعات الدالة على وجود الله تعالى ، وعلى كونه واحدا في تصرفاته كلها .
افيمكن لذي عقل وحصافة ، ان يطلع على ما وصلت اليه اليوم علوم المادة من تشابه المخلوقات في اصل تكونها ، وانها لا تختلف فيه امثال القمح والذرة والشعير الا بزيادة مقدار من مقادير ما خلقت منه او نقصانه ، ثم يتوقف عن الاعتقاد بوجود خالق عالم، له اتم القدرة ، لا يعزب عنه مثقال ذرة ؟ .

افلا يدل علم الكيمياء الحديث دلالة واضحة على وجود الله ، كما تدل عليه جميع المحسوسات في السماوات والارض ؟ .

وعلى اعتبار هذه الاساليب تاسست دعوة القرآن، لا على اساليب فلاسفة اليونان ، فان اردنا اليوم ان ننجح في هذا العصر الذي نهضت فيه علوم المادة ، فلا مناص لنا من مراجعة اساليب القرآن .

واما اذا زدنا ما وصل اليه علماء الارواح من اكتشافهم ما وراء المادة ، فان الدين يكون اقرب الى العقول السليمة ، وانما ينقص دين الاسلام دعاة ذوو حصافة ولباقة وثبات وسلامة طوية ، فليس زمان يقرب فيه الاسلام الى الناس كمثل هذا العصر .
يجب ان يدعى اخوك حماد بالتي هي احسن ، وان يرخى له العنان ، ويطرق باب عقله من جهة شعوره الذي لابد ان يكون حيا ، ومن جهة علمه العصري الذي تعلمه اليوم ، فليس كل ما تعلمه من عند الغربيين ضلالا كما يؤتى لك ، فاتكل في امره على الله اولا ، ثم قابله بالحنو وادب الخطاب ، ثم كل الى اخيك ابراهيم ما وراء ذلك مما يتعلق بمعارفه الغربية ، فان احتيج الى حديث او ءاية مستمدتين من مسلك العقول ، او مما يمس العاطفة والشعور ، فسق اليه ما عندك ، وان توقفت المحاجة على المعارف الغربية فاندب ابراهيم ، فقد امرنا ان نندب الى كل مهم اهل بلواه ، ولا اخالك – ان اتبعت هذه الطريقة – الا ناجحا فيما تراود عليه اخاك، فان سبقت له الهداية من الله في ازله فانه سيكون من المهتدين ، والا فقد اديت ما عليك بينك وبين ربك ، انك لا تهدي من احببت ، ولكن الله يهدي من يشاء . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . فاصاخ كأنه يدرك كل ما ارمي اليه ويسلمه .

ثم انفصلنا على اتباع هذا الاسلوب عند صلاة العشاء ، فقد قال : انني ساشتغل باورادي الآن ، ولا خير في حديث ما بعد العشاء للنهي عن ذلك . ثم اغلق بابه دوني . فالتفت الى كتب مستديرة بالمكان الذي نجلس فيه ، اتتبعها فاذا بها كلها صوفية او حديثية او تفسيرية . فمما هناك شرح رائية الشريشي في كيفية التربية عند القوم ، وشرح المباحث الاصلية لابن عجيبة ، وشرح تائية السلوك واليواقيت والجواهر للشعراني ، والعهود المحمدية والطبقات واخلاق المتبولى له . والفتوحات المكية والاحياء للغزالي ، ورسائل ابن عباد ، ورسائل مولاي العربي الدرقاوي . والخازن على القرآن ، والجامع الصغير للسيوطي ، فاعجبني من بينها اخلاق المتبولي لقلته في الاسواق ، ولكونه لا يزال مخطوطا ، ففيه كنت اطالع حتى دهمني النوم .

وفي السحر قبل الفجر بنحو ساعتين ، ايقضني رب مثواي فتوضأت ، وتوجهنا الى الزاوية ، فاتبتد في ناحية يتنفل بالقرآن ، حتى اطل الفجر فاستقبل ، فسمعته يردد ما بين السر والجهر : « الله » ويمده قدر نفسه ، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ولما قرىء الحزب بقي في مكانه مستقبلا ساكنا لا تتحرك منه شعرة ، حتى حلت النافلة فصلى الضحى ، ثم التفت الي ، وقد غرقت في النعاس ، فكانه يريد ان يؤنبني على نومي اذ ذاك ، الا انه امسك حياء ، وقد رايت بضعة فقراء فعلوا فعله ، فدخلوا الزاوية سحرا ، ثم لم يفارقوها الا في هذا الوقت ، فقلت في نفسي :

هنيئا لهؤلاء القوم ما استعجلوه من لذة الآخرة ، يستمتعون بها في الدنيا ، والناس كلهم سواهم في حياة تعسة لا يرى فيها قبس من نور ، ثم لما اقبل الي رب البيت لاحظت على وجهه نورا وطهارة ، فعلمت ان اصلهما من قيام الليل ، فان ذلك مما ينضر الوجوه .

ثم ودعت السيد العربي وهو عظيم في عيني ، رغم ما اعلمه منه من جهل كثيف بهذا العصر ، وطلبت منه الدعاء الصالح ، لانه من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا

« يتبع »

# بين الجمود والميع

**كتبت هذه القصة التي ننشرها متتابعة للاستاذ الكبير السيد المختار السوسي ، منذ عشرين سنة تقريبا ، وكان عنوانها الاصلي :**

**« بين الجمود والميـع »**

**ولا جدال مطلقا في ان المقابلة من الناحية اللغوية والفنية ، بين كلمتي الجمود والميع ، هي اقوى منها بين كلمتي الجمود والجحود .**

**لكننا نحن آثرنا ان نعنون القصة على صفحات هذه المجلة بعنوان : بين الجمود والجحود لاعتبارات متعددة .**

**منها ان كلمتي الجمود والجحود تكررتا كثيرا على اقلام كتاب هذه المجلة ، منذ ان نشرنا في العدد الاول ، مقالا للزعيم الاستاذ علال الفاسي بعنوان ( بين الجمود والجحود ) .**

**وقد اكتسبت الكلمتان بهذا الترديد صفة خاصة بالنسبة لهذه المجلة مما كاد ان يجعل هذا العنوان لا جمود ولا جحود ، او بين الجمود والجحود ، بمثابة شعار لها .**

**ومن هذه الاعتبارات اننا نقصد في الدرجة الاولى ان نحارب الجمود من جهة ، وان نحارب من جهة اخرى الجحود نفسه ، لان الجحود اي انكار الدين والفضيلة والقيم العليا ، والتنكر لها ، والاعراض عنها ، هو الذي يؤدي غالبا الى الميع والانحلال وفساد الاخلاق .**

**ولسنا ندري الى اي حد يسمح لنا الاستاذ الكبير السيد المختار السوسي بهذا التصرف في عنوان قصته ، وهو الحريص كل الحرص على الدقة في التعبير ، والمحافظة على سلامة اللغة وجمالها ؟ ؟ ؟**

**مهما يكن فنحن نكرر شكرنا للاستاذ ، ونرجو ان تنال موافقته .**

دعوة الحق

# الثبوت العقلي للرسالة المحمدية

## 2

للعلامة السيد أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بالباكستان .

هذا ، وتعالوا ننظر فى احوال هذا الرجل من ناحية اخرى :

ما كان هذا الرجل حتى الاربعين من حياته ، الا رجلا من عامة رجال العرب ، وتاجرا عاديا من تجارهم، لم يجد فيه احد خطيبا مصقعا يسحر الناس بنصاعة بيانه وقوة كلامه ، او حكيما ينطق بالحكمة ويتكلم على الالاهيات وفلسفة الاخلاق والتشريع والسياسة والادارة والاقتصاد والاجتماع ، او يحرك شفته بكلمة عن الله والملائكة والكتب السماوية والانبياء السابقين والامم الخالية والقيامة والحياة بعد الموت والجنة والنار .

كان معروفا فى قومه بطهارة القلب وجاذبية الشمائل وسمو السيرة ونزاهة الاخلاق والاعمال ، ولكن ما كان احد قد تنبه فى حياته قبل ان يبلغ اربعين سنة ، على شيء غير عادي ، يتوقع على اساسه ان يقوم بنوع من الدعوة والدعوى فى المستقبل .

ولا شك كذلك ان كان الناس يجدون فيه حتى ذلك الحين رجلا ميالا الى الصمت والعزلة محبا للخير والسلام ، ولكن ما اعظم دهشتهم جميعا اذ وجدوا فيه شخصا غير شخصه ، لما نزل اليهم من غار حراء بعد بلوغه الاربعين ، وبدا يتلو عليهم كلاما عجبا لم يكن لآذانهم عهد بمثله ، وكان من شدة تاثيره وسرعة تملكه للاذهان والقلوب ، ان كان اعداؤه منهم يخافونه على انفسهم ، وكان من فصاحته وحلاوة بيانه ونصاعة اسلوبه ، ان كان كبار قومه ينهون الناس عن الاستماع له ، ولكن كانوا هم انفسهم يستترون ليسمعوا هذا الرجل يقراه فى بيته بالليل .

ومما لا يخفى على احد ان هؤلاء العرب كانوا مزهوين ببلاغة كلامهم وفصاحة شعرهم وخطابتهم ، ولكن لما تحداهم هذا الرجل الامي بان ياتوا ولو بسورة من مثل الكلام الذي يتلوه عليهم ، عجزت عنه مصاقع خطبائهم وفحول شعرائهم افصح وابلغ ما كانوا .

ما كان هذا الرجل - كما قلنا قبل - الا اميا فطريا نشا فى بادية امة عريقة فى الجهل والهمجية ، منغمسة فى الوثنية وعبادة الحجارة ، ولم يشتغل قبل بلوغه الاربعين من حياته الا برعي الغنم او بالتجارة على عادة قومه ، ولم يتح له ان يتلقى نوعا من العلم والثقافة والتربية ، ولكنا نجده فجاة يصبح حكيما منقطع المثال، وقائدا للجيش عديم النظير ، وقاضيا ماهرا، ومشرعا مبتكرا، وفيلسوفا نطاسيا،وسياسيا محنكا، ومصلحاللاخلاق غير عادي ، بعد ما نزل من الغار وشرع فى دعوة قومه الى رسالته . وجده قومه ياتي بحكم لم ينطق بمثلها احد قبله ولا استطاع ان ينطق بها احد فى زمانه ولا بعده بل لم يسمعوه هو نفسه ينطق بمثلها قبل ان يبلغ الاربعين من عمره .

لقد اتى هذا الامي الناشىء ، ربيب اليتم والعدم فى قرية جاهلة من قرى الحجاز المقفر ،بقوانين فى الاخلاق والاجتماع والمعيشة والاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية وفى شؤون الحياة الانسانية ، لا يدرك كنهها فحول العلماء وحذاق الحكماء على بعد نظرهم ، وخصب اذهانهم ، وتجارب حياتهم ، الا بشق الانفس ، ولا تزال تنكشف للدنيا حقائقها وغاياتها واسرارها على قدر ما تزداد تجاربها وتنضج افكارها مع تعاقب الايام والليالي .

ان هذا التاجر الصامت المحب للامن والدعة ، الذي ما امسك بيده السيف للقتال ، ولا تلقى شيئا من التربية العسكرية ، ولا شهد طول حياته الا حربا واحدة دون ان يشترك فيها بالقتال فعلا ، وجدت فيه الدنيا دفعة واحدة ، محاربا شجاعا لا يؤخر القدم فى افتك ما يكون من الحروب واضرسها ، وقائدا فتح جزيرة العرب

من اقصاها الى اقصاها في مدة تسع سنوات ، وبتنظيمه العسكري وروحه الحربية دالت على ايدي العرب العزل، دولتان من اعظم دول العالم في تلك الايام واكثرها عدة وعتادا ، في سنوات قلائل .

ان هذا الامي الميال الى العزلة والخلوة بنفسه ، الذي ما وجدت منه رائحة الشغف بالسياسة حتى اربعين سنة من حياته ، هو الذي وجد فيه قومه على حين فجاءة ، مصلحا فذا ، ومدبرا غير مطاول ، وربط في مدة ثلاث وعشرين سنة ، بين قبائل العرب الواغلة في الهمجية والجهل والمشاحنة والتحارب ، المنتشرة على وجه صحراء تزيد على مليون ومائتي الف ميل مربع في طولها وعرضها، وجعلها كلها تابعة لدين واحد، ومدنية واحدة ، وقانون واحد ، ونظام للحكومة واحد ، بدون ان يستعين في ذلك بالقطار او بالبرق او الاذاعة او الصحافة .

غير افكارها وعاداتها وطبائعها واخلاقها ، وبدل همجيتها بانضر مدنية وارقاها ، وانحلالها الخلقي بالصلاح والتقوى ومكارم الاخلاق ، وتمردها وفوضاها باحسن نظام لطاعة الامر والتزام القانون ، وجعلها — وهي امة عقيم ما انجب صلبها منذ قرون رجلا نابه الذكر — امة انجبت في مدة قصيرة آلافا مؤلفة من اعاظم الرجال وابطالهم ، سارت بذكرهم الركبان ، وانتشروا في مشارق الارض ومغاربها ، يلقنون الناس الدروس في الديانة والاخلاق والصدق والامانة والشرف والنظام والمدنية .

ما قام هذا الرجل بكل ذلك بوسائل الظلم والاكراه والمكيدة والغش والباطل ، وانما قام به باخلاقه الزكية الآسرة للقلوب ، وتعاليمه السامية الملتحمة بالاذهان ، فهو بهذه الاخلاق جعل من اعدائه اصدقاء ، وملك عليهم قلوبهم وارواحهم برحمته ، وسعة صدره ، وسجاحة خلقه ، وكرم نفسه .

ما عدل عن محجة الصدق والامانة قط ، ولا نقض لاحد عهده ، ولا اعتدى عليه حتى في الحرب .

وقد قامت في وجهه القوي الكاسرة الجبارة فكسر شوكتها واذل اعناق اهلها ، ولكن لما انتصر عليهم، لم ينتقم لذاته من احد منهم ، بل غمرهم جميعا بفضله واكرامه وانعامه ، وغفر لمن قتلوا منهم عمه واخاه في الرضاعة وبقروا بطنه ولاكوا كبده ، واسبغ كساء العفو والصفح على من رموه بالحجارة ، وضيقوا عليه الخناق، وتآمروا على قتله حتى اخرجوه من وطنه .

كان من تواضعه وزهده في حطام الدنيا وكسره لنفسه على كل ما نال من الملك العظيم ، ان كان لا يعيش الا عيشة الفقراء والمساكين ، ويدعو ربه : « اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني مع زمرة المساكين » . وكان ينام على الحصير ، ويكتسي الخشن ويسكن كوخا سقفه من سعف النخل ،ويطعم القديد ، بل تمر عليه ايام لا يطعم فيها شيئا ، ويتجافى جنباه عن المضجع بالليل ، ليقوم لعبادة ربه ويطيل فيها القيام، حتى تتورم قدماه ، ولا يربأ بنفسه عن ان يعمل كما يعمل الاجير العادي، وما نشأت فيه الى آخر ايامه غطرسة الملوك ولا رعونة الامراء ولا تبختر العظماء ، فكان يختلط بالناس ويعاشرهم كانه مثلهم وواحد منهم، ويشاطرهم كل ما ينزل بهم من الآلام والمصائب ، ويجالس عامتهم حتى ليتعذر على الاجنبي اذا دخل عليهم ان يعرف من منهم سيد القوم وملك البلاد . وهو عند ما فارق الدنيا لم يترك لآله شيئا يرثونه عنه، وجعل كل ما كان في ملكه صدقة على امته ، ولم يقم لنفسه ولا لآله ادنى حق على اتباعه ،بل حرم على آله ان ياخذوا شيئا من الصدقة ، خشية ان تتقدم الايام باتباعه فيجعلوا صدقاتهم كلها لآله .

هل ينتهي بهذا فحسب ذكر مزايا هذا الرجل ومناقبه وكمالاته ؟ الجواب : كلا ، فانك اذا نظرت نظرة شاملة في تاريخ العالم ، وجدت ان هذا الرجل الذي ولد قبل اربعة عشر قرنا في مكة ، ونشأ على الفطرة في بادية العرب ، هو مؤسس العصر الحاضر ، وسيد البرية ، وزعيم الانسانية في العالم كله ، وانه ليس بزعيم لمن يؤمنون به ويعترفون له بالزعامة فحسب ، بل هو كذلك زعيم لاولئك الذين لا يؤمنون به ولا يعترفون له بالزعامة لانفسهم .

لا يشعر هؤلاء بان الذي يعرضون عن اتباعه ويكذبونه ويطيلون فيه السنتهم بالذم والقدح، قد خالط اتباعه روح عصرهم الجديد ، واثر ابلغ تاثير في افكارهم ونظرياتهم ومبادئهم لما ياتون او يتركون من الاعمال في الحياة .

فهو الذي قد غير مجرى تصورات الدنيا عن الاوهام والخرافات وعبودية العجائب والرهبانية ، الى التعقل ، وايثار الحقيقة ، والدنيوية القائمة على التقوى

وهو الذي بدل طبيعة الدنيا المطالبة بالمعجزات المادية الحسية ، وانشأ فيها الذوق لفهم المعجزات العقلية ، واعتبارها مقياسا للصدق والحقانية .

وهو الذي فتح عيون الباحثين عن آثار الالوهية في الامور الخارقة للعادة ، وعودهم ان يروا آيات الله الدالة على وجوده والوهيته وتوحيده في آثار الآفاق والطبيعة .

وهو الذي صرف الناس عن الاعتماد على الرجم بالغيب وسلك بهم طريق التعقل والتفكر والمشاهدة والتحقيق .

وهو الذي وضع يد الانسان على ما بين العقل والحس والوجدان من الحدود ، وجمع بين الروح والمادة ، وبين الدين والعلم والعمل .

وهو الذي اوجد فى الدنيا الروح العلمية بفضل قوة الدين ، والتدين الصحيح بفضل الروح العلمية . وهو الذي انتزع جذور الشرك وعبادة الخلق ، للخلق ، واصل مكانها بقوة العلم ، الاعتقاد بالتوحيد ، حتى اضطرت ديانات المشركين والوثنيين انفسهم الى ان تظهر للدنيا ولو بلمع من صبغة التوحيد .

وهو الذي غير التصورات الاساسية للاخلاق والمعنوية ، وبين للذين كانوا لا يعتقدون الاخلاق الا فى الرهبانية والاعراض عن الدنيا واضطهاد النفس وحرماتها من لذائذ الدنيا ونعيمها — وكان خارجا من دائرة الامكان فى نظرهم ان يترقى الانسان روحا وينال النجاة مع ادائه ما عليه من الحقوق لنفسه وجسده واشتغاله بشؤون الدنيا — هو الذي بين لهؤلاء جميعا طريق الاخلاق الفاضلة ، والارتقاء الروحي ، وحصول النجاة ، يمر من بين مشاغل الحياة المدنية والاجتماعية والاعمال الدنيوية البحتة .

وهو الذي عرف الانسان بمنزلته وقيمته الحقيقية فالذين ما كانوا بحال يسلمون لاحد بحق فى هدايتهم وزعامتهم ما لم يكن ذاتا فوق البشر ، او منزلا من الله، او ابنا له ؛ هو الذي دلهم جميعا على ان الانسان مثلهم، له ان يكون مندوبا اليهم من ملكوت السماء ، وخليفة فى الدنيا لرب العالمين .

والذين كانوا يتخذون كل انسان قوي الاها لانفسهم ويطاطؤن له رؤوسهم ، هو الذي ارشدهم الى ان ليس الانسان — مهما كان قويا — شيئا غير الانسان، فما من احد قد خرج الى الدنيا من بطن امه بحق السيادة والحكم على الناس ، وما من احد دخل الدنيا وعلى جبينه وصمة العار والنحس والمحكومية والخضوع والتذلل والعبودية .

وان تعليم هذا الرجل ، هو الذي انشا فى الدنيا نظرية الوحدة والمساواة والجمهورية والحرية الانسانية.
هذا ، وتعالوا نتجاوز الان عن التصورات ونستعرض ما لزعامة هذا الامي من النتائج العملية فى قوانين العالم وشؤونه المختلفة المتشعبة :

فكم من مبادىء الاخلاق والمدنية والحضارة والطهارة والنظافة عرضها هذا الامي على الانسان فانتشرت فى العالم كله ؟ .

وكم من قانون للحياة الاجتماعية اتى به هذا الامي فحاولت ولا تزال تحاول الدنيا الاستقاء من منهله؟

وكم من حركة قد قامت ولا تزال تقوم فى الدنيا على اساس ما اتى به هذا الامي من المبادىء فى الاقتصاد والمالية ؟ .

وكم من ثورة قد حدثت ولا تزال تحدث فى نظريات الدنيا السياسية على اساس ما نفذ هذا الامي من المناهج لنظام الحكومة وادارتها ؟ .

وما اوسع النطاق الذي تاثرت ولا تزال تتاثر عليه نظم الدنيا للمحكمة وافكارها القانونية بما اتى به هذا الامي من المبادىء فى العدالة والتشريع ؟ .

وما هو الا هذا الامي العربي الذي نفذ فى الدنيا فعلا لاول مرة نظام الصلح والحرب والعلاقات الدولية ، والا فان الدنيا ما كانت تعرف قبله انه من الممكن ان يكون للحرب نظام ، وان تتم المعاملات بين مختلف امم الارض وشعوبها على اساس الانسانية المشتركة .

ان شخصية هذا الرجل ابرز شخصية فى منظر التاريخ الانساني ، حتى انكم اذا اقمتم بجنبه جميع اولئك الذين تعدهم الانسانية منذ بدء تاريخها الى يومها الحاضر من الاكابر ، فانهم لا يلوحون لكم بالنسبة لعظمته الا اقزاما .

ليس من اكابر الدنيا واعاظمها وعباقرتها من يجاوز لمعان عظمته وعبقريته شعبة او شعبتين من شعب الحياة الانسانية ، فمنهم من اذا كان ملكا فى النظريات ، فهو صعلوك فى القوة العملية .

ومنهم من اذا كان رمزا للعمل والنشاط ، فانه ضعيف فى الفكر .

ومنهم من انما تنحصر عبقرته فى المراوغات السياسية او الذكاء العسكري .

ومنهم من اذا ركز نظره فى ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية ، توارت عنه سائر نواحيها . ومنهم من اذا تناول بالبحث والاصلاح الاخلاق والمعنوية ، غاب عن فكره الاقتصاد والسياسة . ومنهم اذا تفرغ للاقتصاد والسياسة ، انقطع نظره عن الاخلاق والمعنوية

كاننا اذا كنا نجد فى التاريخ رجلا من الاعاظم والعباقرة، فما عظمته وعبقريته الا من ناحية او ناحيتين من عدة نواحي العظمة والعبقرية .

اما هذا الرجل فانه نسيج وحده وفريد شانه . قد احاط بجميع نواحي العبقرية والكمال والعظمة : فهو نفسه الفلسفي والحكيم والمنفذ لفلسفته فى الحياة العملية . وهو نفسه المدبر السياسي وقائد الجيش وواضع القانون ومعلم الاخلاق ومزكي الارواح والنفوس: يشمل نظره حياة الانسان ، وينفذ الى كل جزء من اجزائها . وهو يصدر الاحكام والتعليمات فى كل ما يتعلق بحياة الانسان من آداب الاكل والشرب والجلوس والقيام ، الى العلاقات الدولية ، ويقرر مدنية مستقلة ، ويقيم بين مختلف شعب الحياة الجديدة اتزانا صحيحا لا افراط فيه ولا تفريط . فهل ترى رجلا غيره جمع بين نواحي العبقرية والعظمة مثله ؟

ليس من اشهر واعظم رجالات التاريخ الا وفى نشأته فضل — قليل او كثير — لبيئته . اما هذا الرجل فلا ينطبق عليه هذا الحكم ، ولا نرى لبيئته اثرا ما فى نشأته ، ومن المحال ان يثبت بدليل عقلي او نقلي ان كانت البيئة العربية فى ذلك الزمان تقتضي تاريخيا ان يظهر فيها رجل مثله ، وغاية ما يمكن ان يقال فى هذا الانسان هو ان البيئة العربية فى ذلك الزمان ، كانت تقتضي ان يظهر فيها زعيم سياسي قومي ، يؤدي بما كان بين مختلف قبائلها من المشاحنة والعصبية وتفرق الكلمة ، ويصبها جمعاء فى بوتقة قومية موحدة ، ويسعى سعيه لسعادة العرب وفلاحهم الاقتصادي ، بالاستيلاء على ما حولهم من بلاد الدنيا ، ويكون حاملا لكل ما كان للعرب فى ذلك الزمان من المزايا القومية ، حتى يستعين بكل ما تصل اليه يده من وسائل الظلم والقهر والغدر والخديعة وسفك الدماء وما اليها للترفيه عن قومه والارتفاع بكلمتهم ، ويكون بهم دولة قوية شامخة الاركان عزيزة الجانب مرهوبة المقام ، ويتركها لورثته من بعده ، افمن الممكن ان يثبت شيء غير هذا من مقتضى بيئة العرب وتاريخهم فى ذلك الزمان ؟ .

وغاية ما يمكن ان يقال بوجهة نظر فلسفة (هيجل) او تفسير ( ماركس ) المادي للتاريخ ، هو انه كان من مقتضى تلك البيئة او من المحتمل فيها ، ان يظهر فى العرب زعيم يجمع كلمتهم ويصبهم جميعا فى بوتقة قومية متحدة تحت دولة موحدة يتركها لورثته من بعده. ولكن كيف لفلسفة ( هيجل ) او تفسير ( ماركس ) المادي ، ان يعبر عن الواقع التاريخي :

وهو انه ولد فى تلك البيئة رجل عني قبل كل شيء وبعده باصلاح الانسانية ، وتزكية ارواح الناس وتطهير قلوبهم وتحليتهم بمكارم الاخلاق ، وسعى سعيه للقضاء على ما كانوا عليه من الخرافات والاوهام والعصبيات الجاهلية .

رجل تجاوز نظره عن الحدود القومية والجنسية والوطنية وشمل الانسانية باجمعها .

رجل اقام بناء نظام للاخلاق والمدنية والسياسة لا للعرب وحدهم ، ولكن للعالم الانساني باسره .

رجل ما عالج معضلات الاقتصاد والسياسة المدنية والعلاقات الدولية فى عالم الخيال والفكر فحسب ولكن عالجها على اساس الاخلاق فى عالم الواقع والحقيقة فعلا .

رجل مزج بين الروح والمادة مزجا معتدلا كان ولا يزال اكبر شاهد واسطع برهان على حكمته وعبقريته. فهل لاحد ان يقول بعد كل هذا ، ان ذلك الرجل انما كان نتيجة للبيئة العربية فى الجاهلية ؟

ليس هذا فقط ، بل اننا اذا تاملنا فى ما جاء به هذا الرجل فى حياته من جلائل الاعمال ، وجدنا انه كان غير متقيد بحدود الزمان والمكان ، وكان نظره يفصم قيود الوقت والاحوال ، ويشق حجب القرون والافاق ، ولا يصده شيء عن التقدم الى الامام . كان ينظر الى الانسان فى كل زمان وفى كل مكان، ويصدر لحياته تعليمات خلقية وعملية تصيب المحز وتعالج مشاكله بصفة متساوية فى كل عصر وفى كل بيئة . وهو ليس من الذين قد ابلاهم التاريخ ، ولا تفيض عليهم الثناء اليوم الا من حيث كانوا دعاة الخير ومحسني الانسانية فى زمانهم ، بل هو — خلافا لكل من سواه — زعيم الانسانية ومحسنها الذي لا يدانيه غيره ، وهو يساير التاريخ ، وهو جديد فى كل زمان كما كان جديدا فى زمان حياته .

والذين تضفى عليهم بكل سخاء ثياب المدح ويلقبون بصانعي التاريخ ، ليسوا فى حقيقة الامر الا ممن قد صنعهم التاريخ .

والحق ان ليس فى التاريخ الانساني كله رجل حاشا هذا الامي ، يجوز ان يقال عنه انه صنع التاريخ ، وما من احد قد تم على يده نوع من الثورة فى التاريخ الانساني ، الا وتجد اذا انت نظرت فى حالاته وظروفه وبيئته ، ان اسباب الثورة كانت بنفسها مختمرة قبل ان يقوم لاحداثها ،وان هذه الاسباب نفسها كانت تعين الوجهة لعمله ، فلم يكن من بطل الثورة الا ان اخرج

مقتضى ظروف بيئته وزمانه الى حيز الوجود ببذل جهوده وقوته ، اي انما لعب دور ممثل يكون كل من المنصة ونوعية التمثيل مقررا متهيأ له من قبل .

اما هذا الرجل فلا نظير له ابدا بين صانعي التاريخ ومحدثي الثورات فى الدنيا قديما او حديثا ، لانه بنفسه خلق اسباب الثورة ، واعد لها المواد الابتدائية ، حيث لم يكن لها وجود ، وبنفسه اعد لها الرجال الاكفاء باذابة شخصيته العظيمة وافراغها فى قالب آلاف مؤلفة من الناس فى بيئة جاهلية ، ما كان فى اهلها روح الثورة العملية ولا النشاط والاستعداد العملي لاحداثها .

هو الذي اعد اسباب الثورة بقوة ارادته ، وعين سورتها ونوعها ، وهو الذي واجه الاسباب بعلو همته ومضاء عزيمته ، حتى غير مجراها الى جهة اراد ان يوجهها اليها ، فانى نجد صانعا للتاريخ ومحدثا للثورة على مثل درجته وشانه ؟

هذا ، وتعالوا نتفكر الان : اي وسيلة كانت لما نشأ من العلم والنور ورباطة الجاش ، وجاذبية الشمائل ، ونفوذ الكلمة ، والكفاءات والكمالات والقوى المهذبة الفائقة دفعة واحدة ، فى رجل امي يرعى الغنم ، او يحترف التجارة ، فى ناحية من ارض منحطة مظلمة كجزيرة العرب قبل اربعة عشر قرنا ؟ تقولون ان كل ذلك ما كان الا مما اختلقه هو نفسه ونبع من ذهنه وافكاره .

واقول انه لو كان الامر كذلك ، لكان على هذا الرجل ان يدعي الالوهية ، ولو انه ادعاها ، لما ابت الدنيا ان تصدقه ، فى قوله وتؤيده فى دعواه ، اذ كانت هي التي اتخذت امثال رام وكرشن وبودا آلهة وجعلت المسيح ابن الله ، واي شيء من النار او الماء او الهواء او غيرها لم يكن يعبد فيها فى زمانه ؟ .

ولكن انظروا واسمعوا ما يقول هذا الرجل عن نفسه بنفسه : انه لا يفتخر بما جاء به ، ولا يكتسب الثناء بنسبته الى نفسه ، وانما ينسبه الى الله الذي اكرمه به وانزله عليه ، ويقول ما انا الا بشر مثلكم وكل ما عندي ليس من نفسي وانما هو لله ومن الله وحده، وما هذا الكلام الذي اتلوه عليكم وقد عجز عنه مصاقع خطبائكم وفحول شعرائكم ، بكلامي ولا مما نبع فى ذهني وافكاري ، وانما نزل علي كل حرف منه من عند الله تعالى ، فلا يستحق عليه الحمد والثناء الا هو وحده . وهذه القوانين التي اتيت بها لحياتكم ، وهذه الآداب التي علمتها اياكم ، ما انا الذي اختلقت منها شيئا من تلقاء نفسي ، ولا اقدر عليه ، وانا فقير الى هدى الله تعالى ورحمته وفضله فى كل شأن من شؤون حياتي ، ولا اقول ولا اعمل الا ما اتلقاه من عنده ، سبحانه وتعالى

انظروا الى مبلغ هذا الرجل من الصدق والامانة والتقوى ؛ يحاول الكاذب ان ينسب الى نفسه محاسن غيره ، مع انه من الممكن ان يعرف مصدرها بكل سهولة، اما هذا الرجل ، فلا ينسب الى نفسه محاسن لو نسبها الى نفسه ، لما استطاع احد ان يكذبه لانه لا يعرف ولا يستطيع ان يعرف مصدرها الحقيقي .

فاي دليل اقوى من ذلك على صدق هذا الرجل؟ ينال فى نفسه كمالات منقطعة المثال بوسيلة خافية ، ثم يبين للناس بدون تلكؤ ولا تحرج مصدرها .

قولوا بالله مالنا — بعد كل هذا — ان لا نصدقه فى ما يقول ؟

---

**استعمال العلم**

قال رجل للمهلب بن ابي صفرة :

كيف نجحت وبلغت ما بلغت من مركز رفيع ؟

فقال المهلب :

انما ادركت ذلك بالعلم وحده ، فقال الرجل :

ولكن غيرك لم يصل الى ما وصلت اليه وقد تعلم اكثر مما تعلمت ؟ فقال المهلب : ذلك لانني استعملت علمي ولم احمله ، بينما حمله غيري ولم يستعمله ...

# من شعرنا السياسي

للأستاذ : عبد الله كنون

نظمت هذه القصيدة فى سنة 1951 ابان استفحال الازمة السياسية التي اثارها الجنرال جوان والتي صمد لها جلالة الملك سيدي محمد الخامس والشعب المغربي صمودا منقطع النظير ، اثار اعجاب العالم ، وكان حديثه وشغله الشاغل ، وقد انفرجت هذه الازمة كما هو معلوم بانتصار العرش والشعب ، واندحار الجنرال جوان .

وقد خلف الجنرال جوان فى الاقامة العامة الجنرال كيوم ، وعمل على تنفيذ سياسة سلفه فى تهور وارتجال ، فكانت القاضية على الاستعمار الفرنسي فى المغرب ، وكانت النصر المؤزر لجلالة الملك وللشعب المغربي الوفي .

## دعوة الحق

العرش ارفع يا حمالة الحطب ... من ان ينهنهه التهديد بالعصب
هيهات مر زمان العنف وانتصفت ... شريعة الحق من شريعة الغلب
وشان سمعة بعض الناس قوتهم ... اذ كان كل قوي كل مغتصب
لن تعد معدات مدمرة ... والله ينصر من يشاء بالرعب
لن تقام حصون جد محكمة ... وقد تهدم ( ما جينو ) بلا تعب
اين الفوارس فيما يزعمون اتوا ... للانتقام من الداعين للشعب
واين قائدهم تغلي مراجله ... حقدا على كل حزبي وكل ابي
تعطبت قوة كانت تحركهم ... بقوة مالها فى الدهر من عصب
ولاذ خوان عهد العرش بعد هم ... بما يلوذ به الجاني من الهرب
وكان فتح وحقن للدماء معا ... فاعجب لفتح على حقن الدم السرب
فتح على صورة التسليم هياه ... من لم يزل ناصرا لكل محتسب
كانما يومه المحمود عاقبة ... يوم الحديبية المحمودة العقب
الله اولى امير المومنين به ... عناية ذكرها باق على الحقب
ورد كيد الاعادي فى نحورهم ... وفل من غرب الاستعمار والنهب

من مبلغ (الكاي دورسي) (1) عن سياسته ... بانها اصبحت تنحط فى صبب
وان نوابه فينا وان عظموا ... فهم على شعبهم من اعظم النوب
بثوا له الحقد فى كل النفوس بما ... يدعون من دعوات الويل والحرب
والبوا ضده الدنيا بما نقضوا ... من العهود وما داسوا من الكتب
وكان مجد فرنسا فى مبادئها ... فخالفوها واحيوا سنة الصلب
فان يكن همه انقاذ سمعته ... فليس بالنفط تطفا سورة اللهب
وليس بالقائد المغرور (2) يبعثه ... ليخلف القائد المغرور (3) فى الصخب
وليس بالكم للافواه ان نطقت ... فان اربدت على التصويت فلتجب
وانما هو انقاذ لسامية ... من الرغائب ما عزت على الطلب
ولا تابت على شعب يحاولها ... ولم تكن قط شيئا غير مكتسب

---

1) وزارة الخارجية الفرنسية (2) كيوم (3) جوان

المغرب الحر لا يبغي بها بدلا ... والعالم الحر فيها جد مرتقب
الاعتراف بالاستقلال يصحبه ... رد الامور الى اربابها النجب
هذا هو الحل لا اصلاح نقبله ... ولو حلمنا عليه بالقنا السلب
( ميثاق طنجة ) الفى كل تجربة ... ولم يجز عوض قرع النبع بالغرب
والشعب اصدق ايمانا ( بجبهته ) ... من ان يراوده خب على ارب
وصاحب العرش ـ صان الله مهجته ... غزا الحماية بالهندية القضب
فما البقاء لوضع لا نصير له ؟ ... الا عبيد العصا الخدام للعتب

ويلم عبد غدا للكفر منتصرا ... وشيخ سوء لدين العبد منتسب
ان كان فى هذه الايام من عجب ... فالقرد يقتاد دبا اعجب العجب

ايه ، بني العرب ، جوزيتم بموقفكم ... منا ، كافضل ما يجزى ذوو القرب
ولا عدمنا نصيرا من اخوتكم ... فنحن فى الدين والفصحى بنو نسب
قضية بين ايديكم ، وان لها ... منكم ابا حسن(4)مستكمل الاهب
تدعوكم حرمة القربى لنصرتها ... ونجحها النجح للاسلام والعرب
وقد غدا ( المجمع الدولي ) منعقدا ... وفيه للحق انصار على رتب
لاكنما الحق يعلو دائما ، وبكم ... ستستقر نصال الحق فى النصب

مولاي ياصاحب العرش الذي خفقت ... اعلامه فوق هام السبعة الشهب
وقر له فى نفوس الناس منزلة ... ـ لولا التقى ـ قلت ماكانت لغير نبي
ويا ابا النهضة الكبرى التي ضمنت ... اجل مستقبل للمغرب العربي
وناصر الدين فى شتى مواقفه ... وحامي العلم والتاريخ والادب
عفوا اذا طال شعري فى النضال فلم ... اقصد به غير دفع الشك والريب
وغير كبت خصوم العرش انهم ... احق بالكبت بل بالطعن فى اللبب
اما المديح فما اغناك عنه بما ... اقناك ربك من دين ومن حسب
وما اغتدى لاسمك المحبوب من عظم ... يغني الاديب عن الاشغال والخطب
ابقاك ربك للاسلام تحرسه ... وللعروبة تحيي عصرها الذهبي
وللرعية ترعى حقها ابدا ... وللبلاد هزبر المعقل الاشب
وليهنك العيد ، ما عادت بشائره ... عليك بالعز فى اثوابها القشب

---

4)من من قولهم فى المثل : قضية ولا ابا حسن لها

---

## ساعة اليد

يقال ان اول من فكر فى ساعة اليد، رجل بخيل ، كان يضيق بوضع يده فى جيب النقود او بالقرب منه كي يخرج ساعة الجيب من حين لآخر ، فاوعز الى احد المشتغلين بصناعة الساعات بالتفكير فى ابتكار ساعة يمكن تثبيتها فى معصم اليد .

## الحيلة والصبر

سئل رجل طروب لا يبالي بالدنيا : لماذا لم نجدك مغتما قط ، فقال :
ان جميع المكاره قسمان : قسم فيه حيلة فالاحتيال دواؤه ، وقسم لا حيلة فيه فالصبر شفاؤه .




**حول كتابي ( المورد الاحلى فى اختصار ( المحلى لابن حزم ) و ( والقدح المعلي فى اكمال ( المحلى ) لابن خليل**



انعقد فى الصيف الماضي بجامعة مونيخ ـ بالمانيا الغربية ـ مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرون ـ فيما بين 28 غشت و 4 سبتمبر 1957 وحضره ما ينيف عن 1500 مندوب عن مختلف المعاهد والمؤسسات العلمية فى الشرق والغرب ، وكان وفد المغرب مركبا من معالي وزير التهذيب الوطني الاستاذ محمد الفاسي ، والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني الاستاذ بمعهد الدراسات المغربية العليا ـ كلية الاداب اليوم ـ مندوبا عن المعهد المذكور والسيد احمد بن اليمني ـ من ديوان الوزير ـ .

وقد القى الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني بالمؤتمر تقريرا حول مخطوط مجهول اكتشفه ، وهو يتضمن معلومات غير معروفة لاحد من المعنيين بالدراسات الحزمية . وعلى الخصوص الطعن فى ( تتمة المحلى ) لابي رافع الفضل ولد ابن حزم ، طعنا يفقدها كل قيمة ، ولفت انتباه الباحثين لاهمية الاجابة عن نقط الاستفهام التي يثيرها هذا الاكتشاف ، مؤملا ان تكون اذاعة هاته المعلومات ـ لاول مرة ـ فى المؤتمر مؤدية للاجابة عنها .

والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني معروف بدراساته الواسعة ، واحاديثه الممتعة . حول تاريخ الدعوة الى استقلال الفكر فى الاسلام ، وعلى الخصوص ما يتصل بابن حزم الاندلسي ودعوته .

وفيما يلي النص الكامل للتقرير المهم الذي القى ملخصه بالمؤتمر ، فاستثار انتباه المستمعين واستحق تقديرهم ، مؤملين ـ مع الاستاذ ـ أن يكون نشره بين القراء العرب حافزا على الاجابة عما يثيره من نقط استفهام .

تتجلى قيمة المذهب الظاهري ـ بالنسبة لدارس تاريخ الفكر الاسلامي ـ فى انه كان رد فعل للغلو فى استخدام الراي والقياس وقلة المبالاة بالنصوص الشرعية عند بعض الفقهاء ، وفى استمراره على التمسك بمحاربة التقليد ، والدعوة الى الرجوع الى مصادر الاسلام الاولى فى القرآن والسنة .

وقد شهد تاريخ الفكر الاسلامي ـ فى احقاب ازدهاره وحيويته ـ معركة حامية الوطيس بين المذهب الظاهري من جهة ، وبين بعض المذاهب الاسلامية من جهة ثانية .

كما ان كثيرا من الحركات الاصلاحية ، في كثير من المجتمعات الاسلامية ، في مختلف العصور ؛ قد تأثرت ببعض الاراء الظاهرية ، بل ان بعض البلاد الاسلامية – كمصر وسوريا مثلا – قد استمدت بعض قوانينها الحديثة من المذهب الظاهري ، كبعض مسائل الوصية وغيرها .

لذلك لم يكن هناك بد لدراس الفكر الاسلامي في مجتمع من المجتمعات عن تلمس مدى تاثره بآراء المذهب الظاهري وتفاعله معها ، كما انه لابد لدارس فقه الاسلام المقارن من معرفة وجهة نظر المذهب الظاهري في مختلف المسائل ، وهو ما جرى عليه بالفعل كثير من الباحثين، قدماء ومحدثين .

وقد عملت الايام عملها في القضاء على مؤلفات الظاهرية في الشرق وفي الغرب، فلم يبق بين ايدينا منها الا كتاب ( المحلى ) لابن حزم : علي بن احمد بن سعيد الاندلسي ( 384 / 994 – 456 / 1064 ) وذلك ما يجعل له قيمة خاصة من هذه الناحية الى جانب قيمته الذاتية .

غير اني عثرت – اثناء تنقيبي عن بقية آثار ابن حزم – على مخطوط مجهول ؛ يقصر هذه القيمة على القسم الاكبر من كتاب ( المحلى ) وهو القسم الذي كتبه ابن حزم بنفسه ، دون قسمه الاخير الذي كتبه ابنه ابو رافع الفضل عند ما توفي ابوه قبل اكماله .

فقد عثرت بمدينة مكناس ، على المجلد الاول من كتاب **( المورد الاحلى ، في اختصار ( المحلى لابن حزم )** وليس فيه تسمية المؤلف ولا تاريخ كتابته ، غير انه يفهم من كلامه في مقدمة الكتاب انه من طبقة تلامذة الحافظ الذهبي ( 673 / 1274 – 748 / 1347 ) فيكون من اهل القرن الثامن الهجري ، 14 الميلادي .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، ان المؤلف ذكر اسم الكتاب في مقدمته وفي نهاية الجزء كما اوردناه ، فتوهم بعض من وقف عليه انه لابن حزم ، واختصر اسمه وكتبه على ظهر المجلد وجانبه : ( المورد الاحلى لابن حزم ) وكذلك سجله من فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الاعظم ، مع الغفلة عن ان ( المحلى ) هو الذي لابن حزم ؛ لا ( المورد الاحلى ) .

ويقع هذا الجزء في 204 ورقة ، في كل ورقة 27 سطرا ، وطول الورقة 26 سنتيما ، وعرضها 17 ونصف ، وكتابته شرقية ، وقد خرقت الارضة كثيرا من اوراقه في الوسط والاخير ، وينصل في اختصاره الى المسالة 424 الواقعة في ص 71 من الجزء الرابع من ( المحلى ) ( المطبعة المنيرية ) .

وقد الصقت على ظهر اول ورقة منه ورقة كتبت عليها وثيقة وقف المولى الرشيد – ثاني ملوك الدولة العلوية الذي ملك فيما بين ( 1075 / 1664 – 1082 / 1671 – جميع هذا الكتاب – وهو المكتوب على ظهر اول ورقة منه – على خزانته التي احدثها بالجامع الاعظم بفاس الجديد ، فكيف ومتى نقل الى مكناس ياترى ؟

واهم ما اشتمل عليه هذا الجزء مقدمة تقع في سبع ورقات وبضعة اسطر .

واهم ما في هذه المقدمة مقدمة كتاب مجهول هو الاخر ، لا نعرف عنه ولا عن مؤلفه شيئا – الا ما استفدناه من هذه المقدمة ، وهو كتاب ( القدح المعلى ، في اكمال « المحلى » ) : ( صنعة الاستاذ الجليل السري ، تابع السلف ، محمد بن عبد الملك ، بن عبد الرحمن ، ابن ابي بكر ، بن محمد ، بن جعفر ، بن محمد ، بن خليل العبدري ) وقد اورد صاحب ( المورد الاحلى ) هذه ( المقدمة ) بتمامها وتقع في اقل من اربعة اوراق .

ويذكر ابن خليل العبدري فيها : ان ابن حزم ( ادركته – رحمه الله – الوفاة وقد انتهى فيه – اي في ( المحلى ) – الى اول كتاب الدماء والديات والقصاص ، ولم يشرح منه الا ست مسائل، وبعض المسالة السابعة، وبقي عليه تتميم المسالة المذكورة وبقية كتاب الدماء والديات والقصاص ، والقسامة ، وقتال اهل البغي ، وحكم المحاربين ، وحد السرقة ، وحد العادية ، وحكم المرتدين ، وحكم الزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، وذكر التعزير ، والجامع ) .

قال ابن خليل : ( فحدثت : ان الثقة اخبر عنه : انه عهد الى بنيه ان يكملوه على ما نهجه من كتاب الايصال ) ... وكان ابو رافع الفضل اكبرهم سنا ، واجلهم قدرا ، فانبرى لتكميله وتتميمه ، فبيض مبيضة لم يخلصها ، ولا رويت عنه بعد نظره فيها – نظر تهذيب وتبصر – ادركته رحمه الله الوفاة ، وحالت بينه وبين ما حاول من اتمام غرضه ، لانه استشهد في وقعة الزلاقة ( اي سنة 479 / 1086 ) .

فمن نسخ كتاب ( المحلى ) فانتهى في نسخه الى المسالة التي توفي ولم يكملها ولم يزد شيئا . وقال : هاهنا ادركت الامام الوفاة ، فهذه رواية ابي خالد يزيد ابن العاص الاونبي الاندلسي .

ومنها ما ينتهي ناسخها بها الى آخر زيادة ابي رافع الفضل ، وهي رواية ابي عمر كوثر بن خلف بن كوثر وابي الحسن شريح بن محمد بن شريح ( 401 / 1059 ـ 539 / 1144 ) باجازة ابي محمد لهما ) .

ولا يخفى ان هذه الاخيرة هي الرواية المطبوعة من ( المحلى ) وتبتدىء هذه الزيادة من المسالة 2024 ص 441 الجزء العاشر الى آخر الكتاب ، اي ما يشمل 536 صفحة ، ويتضمن 284 مسالة .

## طعن ابن خليل في زيادة ابي رافع

واهم ما اشتملت عليه ( مقدمة ابن خليل ) هذه ، ما انفردت به من الطعن في (زيادة ابي رافع ) طعنا يفقدها كل قيمة ، فقد قال : انه (تامل هذه الزيادة فوجد فيها خللا كثيرا .

وذلك ان الامام ابا محمد رتب كتاب ( المحلى ) على كتاب ( المجلى ) فيقول : كتاب كذا ، مسالة كذا ؛ وينقل من ( المجلى ) مذهبه في تلك المسالة كما هو فيه، الى آخر كلامه فيها ، ثم يقول : برهان ذلك ، الى آخر البرهان من الكتاب او السنة او الاجماع او النظر الراجع الى ذلك عنده ، فان كانت المسالة لا يعرف فيها خلافا فقد تمت ، ويذكر المسالة التي تليها ، وان كان فيها خلاف ذكره ، وذكر استدلال المخالف واعترضه ، ورجح بحسب ما ظهر له ، ويذكر من قال بقوله من الصحابة والتابعين وعلماء الامصار ، ثم مر في ترتيب ( المحلى ) كذلك لا يخالف ترتيب ( المجلى ) ـ لانه شرحه ـ حتى انتهى الى حيث قدر له .

والذي صنعه ابو رافع الفضل في هذه الزيادة : انه اخذ ابوابا على ترتيب ( الايصال ) فكمل بها ( المحلى ) ولم يتعرض الى ( المجلى ) ولا نقل منه كلمة واحدة .

وليته لما نقل من ( الايصال ) ما نقل اعتمد عليه ، ولم يحذف منه الا التكرير والتطويل ، بل حذف مسائل كثيرة ، فينقل منه بابا ويترك بابا ، وربما كان الذي يحذفه اكثر فائدة ـ فيما هو بسبيله ـ من الذي يذكره والضرورة لما يحذفه اشد ! وربما طال عليه الباب الذي ينقل منه فيطرح من فصوله ما فائدة الباب فيه ! وربما اثبت في الباب كلاما لبعض الناس وحذف الرد عليه ! او اثبت الرد وحذف اصل الكلام ! وقد يثبت في بعض المسائل اقوال الناس ويحذف القولة التي اعتمد عليها ابوه !

الى غير ذلك من الاخلال الكثير، الذي لا ينبغي معه لتلك الزيادة ان تثبت ، ولا ان تعد شيئا مغنيا بالنسبة الى مراد المصنف !! ) .

ثم يعود ابن خليل ـ في آخر مقدمته ـ فيضيف الى هذه المطاعن الخطيرة : ان في ( زيادة ابي رافع ) مسائل ليس لها في ( المجلى ) اصل ، ولعلها من تراجم كتاب ( الخصال ) المشروح بكتاب ( الايصال ) المكمل منه ( المحلى ) فاشتبهت على ابي رافع الفضل ـ رحمه الله ـ حين تكميله الكتاب ! ) .

## عمل ابن خليل ومنهجه :

قال ابن خليل : ( ولما الفيت الزيادة هكذا ، ووقع الي من كتاب ( الايصال ) جملة كبيرة ، فيها موضع الحاجة ، رايت ان اكمله ، على ترتيبه ووضعه ـ ان شاء الله تعالى ـ حتى اذا رآه العارف الناقد لم ير فرقا بينه وبين ما ابتدا به ابو محمد ، الا فيما قدمته ـ من ذكر الاسناد فقط ) ( ولنا نحن عودة الى مسالة الاسناد هذه ) .

قال : ( وذلك اني اذكر المسالة التي وقف فيها ابو محمد فاتمم منها ما غادره ، ثم ارجع الى كتاب ( المجلى ) فانقل المسالة التي تليها ، واذكر البرهان عليها ـ منقولا من كتاب ( الايصال ) انقله على ما هو عليه ، ثم انقل مسالة مسالة كذلك من كتاب ( المجلى ) لا اتعدى ترتيبه ، واذكر البرهان على ذلك من ( الايصال ) حيث وقع ثم اذكر الخلاف فيها ـ ان وقع ـ والاحتجاج والاعتراض ، والترجيح ، حتى كانه هو الذي تممه ) .

اما المسائل التي في ( تتمة ابي رافع ) وليس لها ذكر في المجلى ) فقد الغاها ابن خليل ( اذ ليست من اصل الكتاب المشروح ، ولا من شرط المصنف ، ود دخلت في وصيته بوجه ) .

وفي ختام ( مقدمة ابن خليل ) يعلن : انه ( ليس له في هذا التاليف غير نسخه فقط ، كله كلام ابي محمد رحمه الله ؛ امتثل فيه ما اوصاه ، فلذلك حسن ـ بل وجب ـ ان يكون عزو التتمة اليه ، لانه محض عبارته ، لم يدخل فيها شيئا ، حاشا مسالة القي فيها بيده متحاملا ، فنبه ابن خليل عليها فقط ، لم يدخل من كلامه في كلام ابن حزم شيئا ! وانما افردها بذاتهالتعلم)

ثم يقول : فاني ـ والعالم الله لو لم يوص بتكملته من كلامه في كتابه ( الايصال ) لم اقدم على ذلك رحمة الله عليه ورضوانه ) .

وهنا نقف فنتساءل عن ابن خليل العبدري هذا : من هو : ؟ وما هو موطنه ؟ وما هو عصره ؟ وما هي قيمته العلمية ؟ واين كتابه ( القدح المعلى ) هذا ؟ وماهي قيمة هذه المطاعن الخطيرة التي يوجهها ( لتتمة ابي رافع الفضل ) ؟ .

وبالرغم من كون ( المورد الاحلى ) يورد لنا اسم ابن خليل ، واسم ابيه ، واسماء ستة من جدوده ، ونسبه ، ويحليه مرة بالاستاذ الجليل السري تابع السلف ، وبالامام محمد بن خليل العبدري ، مرة اخرى ، ويقول عنه : ( وناهيك به ! ) فانا لم نعثر له على ترجمة ولا ذكر ، في شيء مما رجعنا اليه من المراجع المتنوعة ــ على كثرتها ! ــ .

غير انا عثرنا في كتاب ( الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي 1236/634 ــ 703 / 1303 ) ( مخطوط ) على ذكر عبد الملك ، بن عبد الرحمن ، بن ابي بكر ، بن خليل العبدري ، فلم نستبعد ان يكون هو والد صاحبنا ، ويكون ذكر خليل بعد ابي بكر على انه الجد الاعلى الذي اشتهر عقبه بالنسبة اليه ، لا على انه والد ابي بكر ، وهو استعمال شائع .

ويقول المراكشي عن عبد الملك هذا انه : ( بلنسي ، كان من اهل العلم ، حيا سنة اربع عشرة وستمائة ( اي 1217 م ) ( ج 4 لوحة 8 مصورة المكتبة العامة بالرباط ) .

فيكون ابن خليل ــ على هذا الاحتمال ــ من اهل القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي وهذا ما سنلمح في كلام ابن خليل قريبا ما يشير اليه ، اندلسيا، او مغربيا ، فقد كان رحيل الاندلسيين الى المغرب كثيرا في هذه الحقبة .

كما انا لم نعثر في شتى فهارس الكتب ومعاجمها، كما لم نقف في غيرها ، على ذكر لكتاب ( القدح المعلى ) هذا ، وانما عثرنا على اسم كتاب ( القدح المعلى ، في الكلام على بعض احاديث المحلى ) للقطب الحلبي الحافظ: عبد الكريم بن عبد النور ( 663 او 664 / 1265 ــ 735 هـ 1334 ) .

وعلى ( القدح المعلى ، في التاريخ المحلى ) لابي الحسن بن سعيد المغربي ، دفين دمشق ، ( حوالي 605 / 1208 ؟ ــ 685 / 1286 ) وتوجد من هذا نسخة بتونس بخط المؤلف ، غير انه لا صلة له بموضوعنا . غير ان صديقي الاستاذ البحاثة الواعية ، الحاج محمد بن ابي بكر التطواني كان اوقفني على قائمة تتضمن اسماء الكتب التي كانت موقوفة بالمسجد الاعظم بمدينة سلا ، مؤرخة بثامن ربيع الاخر عام 1228 هـ الموافق 1813 م ) ومن بينها كتاب ( المعلى ، تتمة « المحلى » ) .

ونحن نعلم ان ( المعلى ) اسم لمختصر ( المحلى ) لابن عربي الحاتمي ( 560 / 1164 ــ 638 / 1240 ) وللرد على ( المحلى ) لابي الحسن بن زرقون الاشبيلي : محمد بن محمد بن سعيد ( 539/1144 621/1224)

فهل هذا الذي كان بسلا منذ اقل من مائة وخمسين سنة هو ( القدح المعلى ) لابن خليل ؟ او هو ( تتمة اخرى ) ( للمحلى ) لشخص آخر لم يقف على ( تتمة ابن خليل ) ؟ او وقف عليها فلم تعجبه فوضع تتمة اخرى ؟ .

ان الامل لا يزال موجودا في العثور على هذا الذي كان بالمسجد الاعظم بسلا ، اما الان فكل ما بين ايدينا عن ابن خليل و ( تتمته ) هذه ( المقدمة ) التي احتفظ لنا بها صاحب ( المورد الاحلى ) ضمن ( مقدمته ) وفيها نرى ابن خليل كاتبا مجيدا ، اثريا واعيا ، متثبتا ناقدا ، وحزميا متعصبا غاليا .

فهو يبتدىء بايراد حديث : ( تركت فيكم امرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما ... ويذكر ان تاليف علماء الاسلام في السنة راجعة ــ على كثرتها ــ الى خمسة انواع ... وان انفعها القسم الرابع المتضمن لحديث الرسول وفقه الصحابة والتابعين وعلماء الامصار ، مع التعرض للترجيح في الاقوال والاحتجاج بحسب ما ظهر للمؤلف انه الحق ، من غير تقيد بالانتصار لمذهب معين .

وبعد ان ذكر من الفوا في هذا الموضوع على اختلاف العصور ، مشيرا الى توسيع المتاخرين فيما اختصر فيه المتقدمون ، ذكر ان ابا محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الفارسي اكثر من ذكر استيفاء لاقوال المخالفين ، وبسطا لادلتهم ، لانه ــ رحمه الله ــ اتى بعد حدوث الفتن ، وما ابتلى به بعض الناس من المحن ، في نصرة قول من لم يومر بنصره ، ولا يغني عنه من الله شيئا ، ونسأل الله العافية ، وان احسن كتبه كتاب ( الايصال ) قال : الا انه عدم ــ اليوم ــ عدما لا يتاتى وجوده كاملا ابدا ، وبعده كتاب ( المحلى ) في شرح كتاب ( المجلى ) ايضا ، وكلاهما موجود كثير .

وبعد ما ذكر ما اوردناه عنه فيما سبق : ــ من وقوفه على ( تتمة ابي رافع الفضل ) والمقارنة بينها وبين كتاب ( الايصال ) وتصديه لتكميل ( المحلى ) من كتاب ( الايصال ) امتثالا لوصية مؤلفه اورد خمسة فصول :

حصر في **اولها** اسانيد ابن حزم الدائرة المتكررة في ( المحلى ) الى ذوي المؤلفات التي يروى عنها وذكر في **ثانيها** : ( ان الامام ابا محمد قد تكلم فيه اقوام من

الجهال ، ونسبوه الى اشياء هم احق بها ... وقد ادى بعض (كذا) المتاخرين فى سوء الثناء عليه حتى نسب الى معتقده سوءا ... وربما كذبوا عليه فى اشياء نسبوها اليه افكا وزورا ، ثم انهم لعنوه عليها افكا منهم وغرورا ، وبهتانا ومحض تقول ، قال : وقد اثنى عليه جلة من اهل الفضل والخير والدين ، من اهل المشرق والمغرب ...) ثم قال :

وبالجملة فانه اذا تامل العاقل النبيه ، السالم الفطرة من التعصب والهوى ، حال الامام ابي محمد رحمه الله وتامل اقوال المتكلمين فيه ، وجدهم على قسمين :

اما جاهل مفرط الجهل ، يسبه ولا يدري ما كان عليه من الشدة فى الدين والمحافظة على اتباع السنن والحض على ذلك ، فهو يسبه ولا يدري ما يلزمه فى دينه من ثلب امرىء مسلم من اكابر اهل العلم قد لحق بربه.

واما رجل رقيق الحياء ، قليل الدين ، ينال منه تعصبا لاهل مذهبه او غير ذلك، لينال من دنياه ما احب ... قد اعتاض عما عند الله تعالى بان يقال عنه انه كان ناصر المذهب كذا ، مصمما عليه ، وهو يدري ان ما ناله من ابي محمد ـ رحمة الله عليه ـ لا يجوز عقلا ولا شرعا ـ ان كان مصدقا بالشرع).

ويتصدى ابن خليل فى **الفصل الثالث للدفاع** عن ابن حزم فيما اخذ عليه من سلاطة لسانه واقذاعه فى سب مخالفيه ، فيقول :

( ان اكثر من اثنى على ابي محمد رحمه الله ـ واخذه فى شيء ، وهو انه اطلق لسانه وقلمه على قوم من المتعصبين بالثلب والسب ، والنيل منهم ، وكانهم راوا هذا خطا ، وانه اتى مالا يجوز فعله ، وعيب عليه ذلك فى تصانيفه ، قال : وانا اقول : انه ليس خطا ، بل هو قربة الى الله تعالى ، وجهاد فيه ، وزين للتاليف .

وبيان ذلك ان الخلاف لما وقع بين السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ لم يقدح بسببه بعضهم فى بعض ، ولا عادي عليه احد احدا ، بل قد يوجد بين رجلين منهم الصحبة المؤكدة والخلاف فى مسائل كثيرة ، لانهم كانوا لا يراعون فى ذلك الا وجه الله تعالى .

ثم خلف من بعدهم خلف جعلوا طلب العلم سببا لنيل دنياهم ، ومرقاة يبلغون بها من الترؤس مناهم فتعصب قوم لقوم عمل اهل الدولة فى ذلك العصر بقولهم ، اما وفاقا لمن تقدم ، او استحسانا منهم لذلك ، فبالغ هؤلاء فى التعصب لا قوالهم ) .

وبعد ما استدل على ذلك بضياع مذاهب لم تحظ من تاييد الدول بمثل ما حظيت به مذاهب اخرى ، اشار الى قبح ذلك التعصب وحرمته شرعا وعقلا ... وقال : - وربما يكون فى بعض المواضع ردة عن الاسلام!! ... وذلك انهم يعترضون على ( كتاب الله ) تعالى ، وعلى الصحيح من سنن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما قد روا عليه من انواع الاعتراضات : فيحرفون الكلم عن مواضعه ـ قصدا ـ ، ويمزقون ( كتاب الله ) تعالى تمزيقا باردا ، ويتحكمون فيه تحكما فاسدا ، ويعرضونهما على كلام من قلدوه ، فما وافقه منها اخذوا به ، وما لم يوافقه منها نبذوه بالعراء ، وقابلوه بالرد والتحريف ، والحمد لله تعالى على السلامة مما ابتلاهم به ، ومما وقعوا فيه .

فابن حزم يرى فى مذهبه ـ يقول ابن خليل ـ ان تلك المقولات منه مجاهدة شرعا ، ويحتج على ذلك بحديث : من راى منكم منكرا فليغيره ...

ثم يضيف ابن خليل الى ذلك : ( ان الحق فيمن علم الحق وعند عن قبوله من هؤلاء ان يجالدوا عليه بالسيوف ! وتحرق كتبهم المضلة التي ليس فيها لرسول الله ذكر ، الا آراء مجردة عن الاستدلال بالكتاب والسنة ـ حتى يرجعوا عن هده المقاصد الرذلة ، والاغراض المبعودة ، كما فعل بعض من ولاه الله من اقطار ارضه امرا ، فجزاه الله خير الجزاء ، فمن لم يقدر على ذلك ففرضه ـ على راي ابي محمد ـ ان يجاهدهم بلسانه كما فعل هو ) .

ومن الواضح ان ابن خليل يشير فى عبارته هذه الى ما وقع فى الاندلس والمغرب من حرق كتب المالكية اواخر القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، على عهد يعقوب المنصور الموحدي ، الذي ملك فيما بين (580 / 1184 ـ 595 / 1198) وهو حادث عاصره ـ غالبا ـ عبد الملك بن خليل البلنسي ، الذي لم نستبعد ان يكون هو اباه .

ويتصدى ابن خليل فى **الفصل الرابع** للنضال عن ابي محمد فى تخطئة من خطا من السلف الصالح رضي الله عنهم ـ فليست التخطئة نيلا منهم ، ولا يعدها نيلا منهم الا جاهل احمق ....

واذا قال قائل عمن اخطا فى شيء ـ وهو ممن يجوز عليه الخطا ـ : قد اخطا ، فهو اخبار بحق وصدق ولو قال غير ذلك لكان كاذبا ...

وفي **الفصل الخامس** يورد قول ابي محمد : ( ولسنا نرضى عمن يغضب لنا ، انما نرضى بمن يغضب للحق، ولا نسر بمن ينصر اقوالنا انما نسر بمن ينصر الحق حيث هو .

ولا يجهل علينا جاهل فيظن انا متبعون مذهب الامام ابي سليمان داوود بن علي انما ابوسليمان شيخ من شيوخي ، ومعلم من معلمينا ، ان اصاب الحق فنحن معه - اتباعا للحق - وان اخطأ اعتذرنا له، واتبعنا الحق حيث فهمناه !! ) .

ويعقب ابن خليل على ذلك قائلا هو ايضا :

( وكذلك اقول : لا يجهل على جاهل فيظن انني متبع للامام ابي محمد ! ابو محمد شيخ من شيوخي ، ومعلم من معلمي ، ان اصاب الحق فانا معه - اتباعا للحق - والا فانا مع الحق حيث فهمته بحسب ما يوفقني الله تعالى له ، وينعم به علي ) .

وقد تقدم النقل عن ابن خليل : ان ابن حزم القى بيده في مسالة متحاملا ، فنبه ابن خليل عليها ، كما انه حذف اسانيد ابن حزم للاحاديث التي يحتج بها ، مخالفا بذلك ما سار عليه ابن حزم فيما حرره من ( المحلى ) .

**واما فيمة مطاعن ابن خليل** في ( تتمة ابي رافع الفضل ) فهي متوقفة - ولا شك - على العثور على ( القدح المعلى ) وعلى ( الايصال ) والمقارنة بينهما ، وهذا ما تكاد تنقطع الامال دون التطلع اليه او الوقوف من اخبار ابن خليل واحواله على ما يكفي للوثوق بقوله والاعتماد عليه .

على ان هذا الذي عرفناه عنه لحد الان - على قلته - كاف لحمل الباحث المتحري على الوقوف من ( تتمة ابي رافع الفضل ) موقف الحذر والارتياب، وعدم الجراة على نسبة شيء الى ابن حزم او المذهب الظاهري استنادا اليها ، او الى ما استند اليها وحدها .

« يتبع »

---

## اكبركن سنا

تشب خلاف بين ثلاث سيدات ، انتهى برفع الامر الى القضاء ، فلما طلبت قضيتهن في اليوم المحدد للنظر فيها ، اندفعن كلهن نحو منصة القاضي ورحن يتكلمن في وقت واحد .

ولما لم تفلح نصائح القاضي لهن بالتريث، ليسمع شكوى كل واحدة منهن على حدة قال لهن : فلتتكلم اولا اكبركن سنا ، فسكتن كلهن على الفور .

## الكشكول

الكشكول والكشكولة : وعاء المتسول ، يجمع فيه رزقه ، والكشكول ايضا كتاب جمعت فيه كل نادرة من علوم شتى ، وفيه مباحث باللغة الفارسية، الفه بهاء الدين العاملي وطبع في طهران سنة 1874 .

وقد صدرت بمصر في اعقاب الحرب العالمية الاولى مجلة باسم الكشكول لصاحبها الاستاذ سليمان فوزي .

# حول تبسيط الكتابة المطبعية

للاستاذ عبد الوهاب بن منصور

كانت النتيجة التي انتهى اليها الاستاذ الاخضر منار اعجاب وسرور فى افئدة جميع الغير على اللغة العربية المهتمين بمصيرها المشفقين على مستقبلها ، ولست بمغال اذا قلت ان سروري باختراع الآلة الجديدة كان مضاعفا ، لانني رايت فيها حلما من احلامي يتحقق بل رايت فيها مشروعا باشرته بنفسي ، وحضرته بمجهودي الفردي ، يخرج الى حيز الوجود على يد مثقف عناه من امر الكتابة العربية ما عناني ، فهب يعمل بجهوده الخاصة لتبسيطها وحل عقدها حتى انتهى الى النتيجة السارة التي عقد لها ندوة صحافية بوزارة التهذيب الوطني .

ما زلت اتذكر اول يوم وقفت فيه امام مطبعة عربية منذ عشرة اعوام لطبع بعض كتبي ، لقد كان ضعف المصففين فى العربية موجبا لوقوفي بجانبهم ساعات من اليوم وهم يصففون كلمات الكتاب ، وكم كانت دهشتي عظيمة عندما رايت بساطة صندوق الابجدية اللاتينية وتعقد صناديق الابجدية العربية ، ان الاول لم يكن يحتوي الا على اربع عشرات من الخانات يستطيع المرء بما فيها من الحروف ان يصفف اي النصوص يشاء مشكولة مضبوطة ، كما يستطيع ان يحمله بيد واحدة ويحوله من جهة الى اخرى من غير عنت ولا ارهاق ، اما الاخرى فكانت تحتوي على بضعة صناديق نضدت فيها بضع مئات من الخانات المحتوية على مئات من اشكال الحروف التي ينوء حملها بالعصبة اولي القوة. والسبب فى ذلك ان الحروف اللاتينية لها شكل واحد فى اول الكلمة ووسطها وآخرها ، اما الحروف العربية فاشكالها تختلف بدء ووسطا ونهاية ، ومثال ذلك ان حرف التاء له شكل واحد فى مطبعة الاعجام ، فيكتب دائما هكذا T اما التاء فى مطبعة الاعراب فلها على الاقل ستة اشكال ( ت . تـ . ـتـ . ـت . ة . ـة ) ولا احدثك عن حرف الهمزة وكراسيه

كل هذا والابجدية اللاتينية لها شكلها من جنس حروفها ، فالفتحة تكتب بعد الحرف المفتوح ، والضمة والكسرة كذلك . اما الحروف العربية فليس شكلها من جنسها ، بل بعلامات تكتب فوقها او تحتها ، فلذلك اقتصرت المطابع فى الغالب على طبع النصوص العربية غير مشكولة ، لان الشكل يزيد صندوق الحروف العربية تعقيدا على تعقيد ، وتصوروا اشكال التاء المرسومة اعلاه وقد سبكت بالفتحات والكسرات والضمات والسكونات ، وانواع الشد وانواع التنوين ، ان حرف التاء وحده سيصير له من الخانات فى الصندوق اكثر من اربعين ، الامر الذي يجعل صناديق الابجدية العربية المشكولة تحتوي على اكثر من الف شكل بكل تاكيد .

يضاف الى ذلك ان الحروف العربية لا تسير على سنن مستقيم لاعوج فيه ولا امت ، فبعضها يسير الى اسفل كالراء والزاي والواو ، وبعضها يسير الى اعلا كالالف واللام والكاف ، ومثل ذلك واقع فى تعريقات الحرف الاخير كالخاء والجيم ، وهذا الاختلاف يجعل شكل الحرف العربي عريضا جدا ، بحيث ياخذ السطر العربي الواحد الحيز الذي ياخذه سطران او ثلاثة لاتينية ، وفى كل ذلك من ضياع الوقت والمال وتشويش الذهن ما لا يخفى على من عانى الطباعة العربية واكتوى بنار تعقدها .

وهكذا فكرت فى اختراع طريقة لتبسيط حروف الطباعة العربية وكتابتها مشكولة متجانسة ، فعكفت على العمل ازيد من سنة ، واستعنت عليه ببعض الرسامين والمهندسين ، وهيأت ابجدية عربية مشكولة، مستمدة من الابجدية القديمة ، لا تختلف عنها الا فيما يوجبه التبسيط والانسجام ، وليست فيها بدعة الا فى الشكل الذي اصبح من جنس الحروف لا علامات توضع فوقها او تحتها ، ثم وقف حمار الشيخ فى العقبة بعد ذلك ، لان قريشا قعدت بهم النفقة ، فلم استطع اخراج مشروعي الى حيز الوجود، وبقي فى ملفه حبرا على ورق بين اخوان له لم يقدر لهم العسر ان يروا النور .

وقرات بعد ذلك عشرات من البحوث التي كتبت من قبل ومن بعد عن عسر الكتابة العربية وضرورة تيسرها ، وبعضها كان يذهب به الشطط الى حد تفضيل الحروف اللاتينية على الحروف العربية ، والدعوة لاستبدال الاولى بالثانية ، وكان الذي يشحن

الصدر غيضا انه لم يوجد فى العالم العربي بل الاسلامي على اتساع رقعته هيأة ولا حكومة تتبنى مشاريع اصلاح الطباعة العربية وتنفق عليها وتطبقها فى بلادها ، وكان الالم يعظم عندما يرى المرء الحكومات والجماعات تتبارى فى انفاق الملايين والملايير على اعمال كمالية واخرى لا فائدة منها مطلقا الا حب التقليد وارضاء الاجنبي بترسم خطاه فيما يقول ويفعل ، فى حين انها تبخل بالنفقة على المشاريع الضرورية للنهضة ، المريحة للذهن الموفرة للاموال ، الناشرة للثقافة والعرفان ؛ وكان المسؤولون فى الشرق يتضاءلون امام عيني حينما لا اجد من بينهم من يعدل مصطفى كمال مؤسس تركيا الحديثة فى عزيمته القوية ، ومسارعته الى تنفيذ المشاريع الاصلاحية التي يؤمن بفائدتها احب من احب وكره من كره ، واقول ليت لنا فى عالم العروبة والاسلام زعيما حازما من نوع مصطفى كمال ، يصلح الكتابة العربية فيقيها شرور الاخطاء التي ارتكبها مصطفى كمال ، ومرت السنون تعقبها السنون ، وجدت احداث وجرت شؤون ، ولم يكن شيء منها ليشيني عن مسألة تبسيط الكتابة العربية او يخفف عني عبأ ما احمل من الهموم فى شانها ، الى يوم 4 غشت الماضي ، ففي صباحه الباكر كنت اتناول طعام الافطار بدار السيد المهدي بن بركة رئيس المجلس الوطني الاستشاري صحبة السيد محمد التازي ، وبينما نحن نستعد للحاق بالاستاذ علال الفاسي بالقصر الكبير لنحضر بجانبه فى ذكرى وقعة وادي المخازن ، اذا بالسيد ابن بركة يلقي الى رقعة فيها نص عربي مشكول، مطبوع بالالة الكاتبة فقلت من الفرح : يا بشراي : هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا .

والان وقد انجز المشروع، وابصر بعد الظلمة النور لا يسعنا الا ان نهنيء الاستاذ الاخضر بهذه التحفة التي جاد بها على اللغة العربية وآدابها ، ونقر له بالغيرة والعزيمة والنبوغ ، كما لا يسعنا الا ان نحمد الله اولا واخيرا على ان ادخر هذه المكرمة للبلاد المغربية، ونشكر جميع الذين ساهموا فى تحقيقها ماديا وادبيا .

اما فائدة هذه الالة الشاكلة المبسطة فهي فوق التصوير والتقدير ، ويكفي انها ستكون وسيلة فعالة لتقويم الالسنة على النطق الصحيح ، واراحة الذهن من عناء التفكير فى القواعد النحوية للوصول الى فهم المعنى المقصود .

ان قارىء الحروف اللاتينية لا تكاد عينه تقع على الكلمة حتى ينطبع معناها فى ذهنه ، اما قارىء الحروف العربية غير المشكولة فانه يحتاج الى وقت لمعرفة موقع الكلمة من الاعراب وصورة بنائها قبل فهمها ، وخذ مثلا كلمة ( علم ) فانها من الممكن ان تكون فعلا ثلاثيا مبنيا للمعلوم او مبنيا للمجهول ، او رباعيا مضعفا او مصدرا بمعنى المعرفة ، او صفة مشبهة بفتح فسكون بمعنى العالم ، او مفتوح الاولين بمعنى انشقاق الشفة العليا او الراية او الجبل او السيد الخ . فالالة الجديدة ستكفينا مؤونة التفكير فى القواعد الصرفية والنحوية وتجعل المعاني مفهومة بمجرد القراءة، وفي ذلك من راحة الذهن وربح الوقت ما فيه .

بقيت كلمة اخيرة اوجهها الى المسؤولين المغاربة ، وهي ان هذا العمل الجبار الذي قام به الاستاذ الاخضر ينبغي ان لا يذهب هباء ، ويترك ظهريا فمن الواجب ان تصدر الاوامر الى سائر الوزارات والعمالات والمؤسسات الحكومية باستعمال هذه الالة والاقتصار عليها ، وارى ان يقوم سيادة وزير التربية الوطنية بتقديم نص قانوني الى مجلس الوزراء فى هذا الموضوع وبذلك يتم نعمته على هذا المشروع الكبير الذي تبناه ونال منه كل تشجيع ، ويكون ادى خدمة الى المملكة المغربية خاصة والعالم العربي على العموم فى جملة ما يؤديه من الخدمات

مشروع لاصلاح الحروف المطبعية العربية

**اتصلنا بالاستاذ السيد احمد الاخضر رئيس مصلحة التربية الاساسية بوزارة التربية الوطنية ، وطلبنا منه ان يكتب للمجلة مقالا عن مشروعه لاصلاح الحروف المطبعية العربية ، وقد تفضل فبعث الينا بمقال فى الموضوع . لكننا توصلنا بالمقال والمجلة تحت الطبع ، ولم نتمكن لذلك من ادراجه فى هذا العدد ، وسننشره فى العدد المقبل بحول الله .**




# محنة الميان

للاستاذ عبد المجيد بن جلون

كان ذلك فى مصر ، قبل ان تقوم الثورة .

دخل علي بقامته المديدة ووقف امامي فحال بيني وبين النور فدعوته للجلوس .

كان من المتفيهقين الثرثارين الذين يحلو لهم ان يسرفوا فى الحديث ، وهو رجل قد تجاوز الخمسين ، واسع الحيلة ، شديد الالمام بظروف الحياة وتقلباتها ، عصبي الطبع ، عركته الحياة وعركها ، تلقى عليه اول نظرة فتعرف انه ينتسب الى العصر التركي ... كان يطرف بعينيه الذابلتين من آن لآخر ويلبس الطربوش الطويل على مؤخرة راسه ، ولا يرى الا وفى يده عصا وفى يده الاخرى مسبحة وقد احاط نفسه بجو من الحصافة والحكمة لم يكن فيه زيف كثير ... اذا روعيت الظروف ...

جلس على المقعد الوثير وهو يسال عن الصحة والاحوال ، فكنت اجيبه اجابات مقتضبة لانني كنت اعرف الغرض من هذه الزيارة ، كان يسال عن الحجاج الذين ياتون من بلاد المغرب البعيدة سيرا على الاقدام ، فكان يجمعهم ، ويدون اسماءهم ، ويؤويهم ، ويقضي حاجاتهم ، وفى مقابل ذلك يجمع لهم بعض النقود من الهيئات والاشخاص ، ويقسمها معهم ، فكان فى ذلك ربح للجميع ، فالحجاج يقضون مآربهم ، ويقضي هو مآربه ايضا ... وعلى ذلك فان من الصعب ان تعرف هل هو من كبار المحسنين او من كبار المحتالين ...!

جلس وهو يخلع طربوشه الطويل ويضع عصاه ويمر باحدى يديه على الشعرات الباقية فوق راسه ، ثم التفت فوجد ورقة ملقاة على منضدة صغيرة فالتقطها ، اذ كان من هؤلاء الناس الذين لا يترددون فى قراءة اوراق غيرهم دون ان يفكروا هل ذلك من حقهم او لا ...

ومهما يكن من شيء ، فقد التقط الورقة وقراها ، وما كاد يفعل حتى انطلقت منه صيحة استغراب وهو يقول : « اعرف هذا الرجل ، اعرفه تماما ، لقد اقام عندي مدة لا تقل عن اسبوعين ، قدمت له خلالهما كل مساعدة ، يا لتفاهة الحياة ! »

قلت مختصرا : « مسكين ، انها نهاية طبيعية للتشرد » ...

قال : « هل تعرف ان وراء هذا الرجل قصة تستحق الرواية ، قصة تمت فصولها ، بعد ان القيت نظرة على هذه الورقة الملقاة هنا ، فدعني اروها لك

قال دون ان ينتظر موافقتي: «عندما اقبل عندي هذا الرجل كان فى منتهى التعاسة ، ولم يكن عندي غيره... فوجدت من الصعب ان اساعده ، لانني لا أستطيع ان اساعد الا الجماعات من الحجاج ، ولست استطيع ان اذهب الى وزارة كذا او هيئة كذا لاقول لهم ان عندي حاجا واحدا ، فطلبت منه ان ينتظر بضعة ايام ريثما يفتح الله علينا بحجاج آخرين .

كان حافي القدمين مكشوف الراس يرتدي خرقا بالية قذرة ، تافه العضلات ، مرتجف الاوصال ، يبدو عليه التعب الشديد ، ولا يستطيع الكلام الا بجهد ، فرأفت لحاله ، وقدمت له الطعام فالتهمه التهاما ، وبعد مرور يومين وانا اعتني به ، اخذ يسترد قواه .

وفى اليوم الثالث كنت جالسا وحدي ، وكان يوما راكدا فلم اجد من اتحدث اليه ، ولذلك ارسلت اطلبه فاقبل يجر نفسه جرا ، وما كاد يقترب مني حتى القى بنفسه الى الارض ، ونظر الى متعقبا ما ساقول له ، وبينما كنت ارثى لحاله قال لي فى شوق : هل تمت الاجراءات ، هل استطيع ان اسافر غدا ؟

قلت : « لا تخف سوف تسافر ، ولكنك تعب ويجدر بك ان تنتظر بضعة ايام اخرى للراحة »

قال : لا اريد راحة يا سيدي ، لقد غمرني الشوق الى بيت الله الحرام ، ولا اريد ان استريح الى ان اصل الى البقاع المقدسة ، لا ضمان للحياة ، ولذلك اخشى ان يوافيني الاجل قبل ان احقق هذه الرغبة التي تقمصتني منذ شبابي ، منذ اكثر من ثلاثين عاما وانا احلم ببلاد الله المقدسة ، وقد صممت على الا افارق الحياة يا مولاي الا بعد تحقيقها ، فاعني بكل ما تستطيع ادخلك الله الجنة .

قلت : من اي مكان انت من بلاد المغرب ؟

قال : من قرب مدينة فاس .

قلت : وما عملك ؟

ــ مزارع

ــ تعني انك عامل زراعي ؟

ــ لا يا مولاي ، انني مزارع ، صاحب اراض .

ــ صاحب اراض في هذه الحالة ! هل تعني انك تملك اراضي زراعية في فاس ، وانت على هذه الحالة ؟

ــ هذا ما اراد الله انا راضون بقضاء الله ، في سبيل الله يا مولاي في سبيل الله .

كان يقول ذلك في رضى غريب ، ولكنني استغربت مع ذلك فسألته : كيف تكون صاحب اراض وتبخل على نفسك ؟ لماذا لم تحمل معك المال الضروري للقيام بهذا المشروع الذي قمت به ؟ لماذا لم تركب القطار او الباخرة ما دمت صاحب اراض ، بدلا من ان تسير على قدميك ، الم تجيء سائرا على قدميك ؟

فاجاب وهو ينظر الى الارض : « لا يقبلون ، فهذه المركوبات لم تخلق لامثالنا ، هذا ما كنت اعتقده ، لم اكن احسب ان المال كل شيء وان من يدفع ثمن التذكرة يستطيع ان يركب ، ولذلك لم افكر في الحج الا سيرا على الاقدام . والسفر على هذه الاشياء يحتاج الى اوراق لا نعرف كيف نحصل عليها ، وفوق هذا وذاك يا مولاي فان السفر الى بيت الله المقدس سيرا على الاقدام من بلادنا البعيدة ، يزيد في ثوابنا عند الله تعالى ، لا حرمنا من النظر الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

كان يقول ذلك وهو يزداد لصوقا بالارض وتذللا ، ولكنني لم افهم حالته على حقيقتها ، فقلت له : انني اسالك سؤالا واضحا ، فتجيبني بالتحدث عن فضائل بيت الله المقدس ، اقول لك انت صاحب اراض زراعية ، ومع ذلك اصبحت على هذه الحالة ، هل تستطيع ان تقول لي لماذا ؟ اليس من الغريب ان تكون صاحب اراض زراعية وانت هكذا ؟ حافي القدمين جائع ، ترتدي الاسمال ؟

قال : تلك قصة لم اكن اريد ان ارويها لك ، ولكن هذا ما حصل ؛

تقمصتني وانا في سن الخامسة عشرة فكرة زيارة قبر الرسول عليه السلام ، فكنت افكر فيها وانا نائم وافكر فيها وانا صاح ، اية روعة واي حادث جلل ان تزور قبر حبيب الله الذي سوف يدخلنا جميعا الجنة . وكنت قد ورثت اراضي زراعية عن ابي . وكنت وارثه الوحيد ، فامعنت في اعمالها ، وماذا تفيد الاراضي الزراعية ؟ هل تدخل الجنة ؟ هل تنفع الانسان في الدار الآخرة ؟ كلا يا سيدي ، انني اريد ان اضمن الآجلة ، اما العاجلة فسيان عندي قضيتها متسولا حقيرا او قضيتها في رغد من العيش ، فان هي الا ايام نقضيها في الحياة ولا ينبغي ان نهتم بحالتنا فيها ، اما الشيء الذي يطير له الصواب فهو ان ينسى الانسان تلك الحياة الباقية السرمدية ويلهي نفسه بمتاع الدنيا . . . ورثت الاراضي الزراعية وانا في سن الخامسة عشرة ، فقلت اذا كان لهذه الثروة من فائدة فهي ان تكون وسيلة الى حج بيت الله الحرام ، ومنذ ذلك الحين ، اي منذ ثلاثين عاما ، تلبستني الفكرة يا مولاي ، ولم استطع تنفيذها ، لا لحاجتي الى المال ، ولكن لانني كنت اعلم ان لهذه الاشياء قواعد يجب ان تتبع . واصولا يجب ان تقتفي ، ولذلك امعنت النظر وقدرت ودبرت ثم تبين لي ــ وعندي تجارب تبرهن على ذلك ــ ان السفر مستحيل بالنسبة لامثالي ، انني منصرف الى الصلاة وعبادة الله ، ولذلك فليس عندي وقت لتلقي المعلومات الضرورية التي يمكن ان تؤهلني للسفر على هذه الوسائل التي خلقها الكفرة ، خلقها النصارى ، وكيف نؤدي واجباتنا المقدسة متوسلين في ذلك بوسائل خلقها هؤلاء الكفرة الفجرة .

وهنا نفد صبري ، فقد كنت اساله سؤالا واضحا لا يكاد يشرع في الاجابة عنه حتى ينزلق الى مثل هذا الكلام ، فقلت له :

الا تستطيع ان تفهم انني اسالك سؤالا واضحا جدا ، اين اموالك ، اين اراضيك الزراعية ايها الرجل ، هل سمعت بصاحب اراض زراعية في مثل هذا الشقاء ؟ ماذا فعلت باراضيك ؟

نظر الي نظرة طويلة كانه يأسف لعدم فهمي وكانه يرثي لحالي ، ثم اجاب : « اراضي الزراعية ما تزال في مكانها ، لقد جمعت محصولاتها وبعتها ، ثم اجتمع لدي مال ظننت انه يكفيني لاجتياز اعظم عقبة في الحياة ، فطويت صدري على هذا المال ، وقررت ان انفذ الفكرة الخالدة ، فكرة الحج الى بيت الله الحرام .

كان يقول ذلك وفى عينيه بريق مقدس ، بريق المؤمنين المتفانين فى الايمان ، الذين لا يعنيهم بعد الايمان ما يصيبهم من ذل وخسارة ، ثم استأنف :

ولما جمعت المال وقررت السفر فكرت فى الاراضي فقد كنت اعرف ان من الممكن جدا ان يشملني الله تبارك وتعالى برعايته ، فلا اعود مرة اخرى ، وانما اقضي نحبي فى الطريق ذاهبا او آيبا ، ولذلك قررت ان ان اتنازل عنها ، فاستدعيت احد اقربائي ووصيته بان يعتني باولادي فى غيبتي ، فاقسم على ذلك ، وهناك تنازلت له عن الاراضي »

قلت : ولك اولاد ؟

قال : نعم خمسة اطفال اكبرهم فى سن العاشرة ، لاحرمهم الله من زيارة بيت الرسول ...

قلت : اذن انت متزوج .

فقال : لا لست متزوجا ، او على الاصح لست متزوجا الآن ، لقد كنت ابعد نظرا من ارتكب مثل هذه الجريمة ... ان اذهب فى هذه السفرة البعيدة وفى عهدتي امراة ، لا تحتقرني ، انني اشد تقى من ان افعل ذلك . لقد قرات يا مولاي القرآن وعرفت مبادىء الدين ، واستطيع ان اقول لك انه لا يوجد ثم افظع من ان يموت الانسان او يغيب وهو متزوج ، يجب ان يطلق زوجته حتى لا يكون مسئولا عما تعانيه من شقاء ، وهكذا كنت يا مولاي اكثر الماما بديني من ان اقوم بمثل هذا العمل العظيم وفى عهدتي امراة ، نعم يا سيدي لقد طلقتها على سنة الله ورسوله قبل ان اشرع فى عملي المقدس ، طلقتها وبرات ذمتي منها ، حتى لا يعاقبني الله تعالى ويقول لي يوم القيامة كيف تسافر وفى ذمتك امراة ، طلقتها واخلصت الدين لله يا مولاي .

كان اهتمامي بقصته قد بلغ منتهاه ولذلك سالته واولادك ؟ ماذا فعلت بالاولادك ؟ هل تخلصت منهم واخلصت الدين لله ايضا ؟

قال : لا لقد اعددت للامر عدته وتركتهم فى عهدة قريبي ... قبل ان اسلم له الاراضي .

قلت : واذا رجعت وانكر ان الاراضي اراضيك .

قال مشيئة الله ، ولا مرد لقضائه تعالى .

فقلت فهمتما ترمي اليه ، جمعت اكبر قدر ممكن من المال وانطلقت فى الطريق الى الاراضي المقدسة لتؤدي فريضة الحج مضحيا فى سبيل ذلك باراضيك وزوجتك واولادك ، اليس كذلك ؟

قال نعم وعند الله الثواب .

فسألته وماذا حصل بعد ذلك ؟

فاجاب : انطلقت فى سبيل الله الى بيت الله لاداء فريضة الله ، وقد تخلصت من جميع واجباتي كما تقول ، من اراضي الزراعية ومن الزوجة ومن الاولاد ، ولذلك فقد استقبلت الله دون تبعات ، خلفت وراء ظهري الدنيا ومتاعها ، وسرت فى طريق الله مجردا منهما ، ولن يقف فى طريقي شيء الى ان اصل الى بيت الله .

والحقيقة ان بريقا مقدسا كان يلمع فى عينيه وهو يلفظ هذه الكلمات التي كانت تعبر عما تكنه روحه من اخلاص هائل ، ولكنني كنت متعطشا الى سماع بقية قصته .

قال « خرجت من بلادي مزودا بمال كثير ، وبدات اسير فى اتجاه المشرق ، وذلك منذ اكثر من ثمانية شهور ، وقد وصيت بان اسلك الطرق الصحراوية حتى لا يعترض لي رجال الحدود ، ولم الق صعوبة كبيرة فى الوصول الى الجزائر ثم تونس ثم طرابلس وكنت اسير حوالي عشر ساعات كل يوم »

قلت « هذا واضح ، خرجت سيرا على الاقدام ، ووفرت مالك للشدائد » .

قال « وهل تظن ان السفر على الاقدام لا يكلف المال ، انك واهم ياسيدي ، كنت ادفع ثمن المبيت وثمن الطعام واشتري النعال التي كانت تتمزق بسرعة ، كما كنت ادفع المال لمن يدلونني على الطريق ، وكان من هؤلاء من يغشني فيدلني على طرق تفضي بي الى الضلال ، فاضطر ان ادفع مالا آخر لمن يدلني على المكان الذي كنت فيه قبل أن اضل السبيل ، ولا تسال عن طمع الاعراب فيمن يسافر سيرا على الاقدام ، انهم يعرفون انه يحمل المال، ويعرفون انه يسافر دون اوراق، ولذلك فهم يحاولون ان يسرقوه ، فاذا لم يستطيعوا ذلك لجاوا الى التهديد بالوشاية به الى رجال السلطة اذا لم يدفع لهم ما يطلبون، وهكذا بدات افقد مالي تدريجيا ، ولكنني كنت راضيا لانني كنت اعلم ان ما بقي معي سوف يكفيني للوصول الى بيت الله الحرام ، ولن يهمني شيء بعد ذلك ، لن يهمني ما يمكن ان يحدث بعد زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام . انني اقبل عن طيب خاطر بعد ذلك ان تعصف بي النكبات .

قال « وفى بلاد برقة اصابني اعياء شديد ، فالتقطني احد الاعراب ولما عرف انني فى الطريق الى الحج اظهر اعجابه بي ، واخذني الى بيته حيث اطعمني

واستضافني ثلاثة ايام ، وذات ليلة من ليالي الشتاء الطويلة وكنت استعدت قوتي بفضل العناية التي شملني بها الاعرابي ، جلسنا نتحدث بالقرب من نار دافئة ، وكان حديثنا يدور حول البقاع المقدسة وما يدخره الله تعالى لمن يقاسي الشدائد فى سبيل زيارتها ، وامر الرجل بعد ذلك باحضار ملابس جديدة لكي استبدل بها ثيابي، وكان يساعدني على ذلك بدعوى انني تعب، فاستسلمت له وانا اشكره ، وانتهينا من ذلك وانا لا ازال اشكره ، كنت جالسا بالقرب من النار بينما كان هو واقفا الى جانبي حينما تذكرت انني تركت ما معي من مال فى القميص الذي نضوته ، فاستدرت ابحث عنه، ثم مددت يدي ، ولكنني لم اجد المال فى مكانه . فاستغربت وبدات ابحث هنا وهناك ، والرجل قائم عند راسي ، ثم رفعت الحشية الصغيرة التي كان يجلس عليها فوجدت المال تحتها ، ولكن سرعان ما وضع الاعرابي قدمه على يدي فى شدة وهو يسالني ماذا افعل ؟ قلت انني آخذ مالي .

قال الاعرابي : مالك ايها اللص ! يا شيخ السوء ، اهذا ما سافرت من اجله ، ثم تقول انك فى الطريق الى بيت الله الحرام ، الهذا اسرفت فى الخشوع وادعيت المرض ، استغل رحمتي ورقة شعوري باسم رسول الله وباسم التظاهر بالمرض والضعف لتسرقني ، الا قاتلك الله ، اخرج من بيتي ايها المشعوذ والا استدعيت رجال الشرطة . كيف يمكن ان يصدق احد ان مثلك باسمالك وقذاراتك يملك هذا القدر من المال ».

ثم رفسني فى صدري وهو يامرني بمبارحة بيته فى الحال ، قبل ان يستبد به الغضب ويستدعي رجال الشرطة ، وقد حاولت ان اقاوم لانني كنت اعلم المصير الذي ينتظرني دون مال فى هذه البلاد البعيدة ، ولكنه كان اعرابيا قويا ، وقد استطعت ان ارى على ضوء النار ما يبدو على وجهه من تصميم وعدم تردد ، ولذلك عرفت انني ضائع ، فوقفت وقد بدا يخيل الي من شدة تصميمه ان المال ماله لا مالي ، وعند ما اردت ان اخرج وضع يده القوية على كتفي وهو يشدني قائلا : « ارجع الى اسمالك ايها اللص الحقير ، فانك لا تستحق ان احسن اليك بمثل هذه الثياب »

قال فى تذلل « وهنا بدات متاعبي الحقيقية ، وانك تستطيع ان تتصور حالة رجل فى صحراء لا مال له . وقد بدأت قوتي تنفد بعد نفاد مالي ، كما لو كان احد قد سرقها مني هي ايضا ، وتمزق نعلي وبدات اسير حافيا على الرمال الملتهبة ، فتورمت قدماي ، وقضيت بقية الطريق متسولا انام فى العراء ، واعيش على ما ينفحني به الاعراب فى الطريق .

وذات ليلة قمرية ، بينما كنت اسير مجهدا وانا اعزي نفسي بسمو الغاية التي اتحمل فى سبيلها كل هذا العذاب ، انقض علي رجل قوي وطرحني ارضا وهو يطلب مني ما معي من نقود والا مزق احشائي بخنجر حاد كان يلمع فى ضوء القمر ، ولما اخبرته بانني متسول لا املك شيئا لطمني بعد تمزيق ثيابي ، باحثا عن مالي ،ولما اعياه البحث ولم يعثر على شيء ، رفسني رفسة قوية وهو يلعنني ، ثم التفت الي وهو يرمي لي كسرة من الخبز قائلا : « كل هذه فقد كلفتني القيام بهذا الجهد دون جدوى ، ومع ذلك يبدو انك تستحق الرحمة ايها المتسول القذر .

كان يخيل الي ان الشهور والاعوام تتطاير وتقترب بي فى سرعة الى ارذل العمر لشدة ما اصابني من ضعف ، كان الهرم يسري فى اوصالي كما تسري النيران فى الهشيم ، وقد قضيت على هذه الحالة ما يزيد على اربعة شهور ، ولم ينقذني الا رجال حدود مصر الذين اعتقلوني ، وجاءوا بي الى هذا المكان الذي وجدتني فيه، ثم اطلقوا سراحي وانتهى بي المطاف اليك . وهاندا .

كان الدم يغلي فى راسي غضبا حينما وصل الرجل مديد القامة الى هذا الموضع من القصة ، فسالته : وماذا حصل بعد ذلك ؟

قال وهو ينظر الى السقف فى تواضع مفتعل زائف: ظل عندي حوالي اسبوعين بالطبع ، وساعدته على اداء الفريضة المقدسة التي كرست حياتي لمساعدة المغاربة على تأديتها كما تعلم ، ومن لهم غيري ، فلولاي لما وصل كثيرون منهم الى بيت الله الحرام ، وهم قوم بسطاء ، ولا بد لنا من مساعدة اخوان لنا فى الدين .

قلت : وبعد ذلك ؟

قال : ان ان بقية القصة مكتوبة على هذه الورقة الملقاة هنا . انها رسالة من الشرطة المصرية ومعها ورقة التعريف الشخصي ، ثم رفعها وبدا يقرا الورقة الاولى : الاسم — عبد السلام الصنهاجي — السن — 45 سنة محل الولادة — ضواحي فاس — الغاية من السفر — الحج الى بيت الله الحرام. ثم رفع الورقة الثانية وقرا: بوليس القاهرة — نفيدكم علما بان السيد عبد السلام الصنهاجي الذي يحمل تعريفكم المرفق بهذا قد عثر عليه رجال البوليس فى الصحراء الشرقية جثة هامدة .

ثم رفع الي ورقة التعريف لاراها وهو يقول : هذه صورته انه هو تماما انظر اليه فربما كنت قد رايته .

لم يكن يهمني ان ارى صورته فقد كنت افكر فى الرجل الذي اخلص لفكرة ... فضحى فى سبيلها بزوجته واولاده وصحته وتحمل فى سبيلها المشاق والمكاره ، وصمد لذلك كله الى ان مات دونها فى عرض الطريق .

كنت افكر فى القوة الهائلة ، القوة التي تتدفق فى صحراء .

كنت افكر فى ذلك حينما نهض الرجل المديد ، وهو يضرب بيده اليمنى على ركبته ، ثم يأخذ عصاه ، ويضع الطربوش على مؤخرة راسه . كل ذلك وهو يطرف بعينيه ويقول : ارجح ان رجال حدود المملكة العربية قد منعوه من المرور لانه لم يكن يملك ضريبة الحج وعلى كل حال هذه هي نهاية الرجل ، لقد كان من اليسير ان تعرف بعد ان وصل الى مصر من وجهه انه على ابواب النهاية ، وكم كنت اود لو حقق الله له ما كان يصبو اليه ، ولكن هذه هي الحياة ، ان هؤلاء البسطاء فى مسيس الحاجة الى عنايتنا ، ولذلك يمكن ان تقدر قيمة الخدمات التي اقدمها لهم ، لا ذنب لهم سوى انهم يريدون ان يؤدوا فريضة الاسلام الخامسة ، ان الشوق الى بيت الله المقدس هو الذي يحدوهم طول الطريق . مساكين ، حقا انهم مساكين .

قال ذلك وهو يرفع لي يده مودعا ، ولكن تأثري لقصته كان اعمق من اعير لتعليقه التافه اي التفات .

---

## افنـــدي

افندي كلمة رومية الاصل ، دخلت فى اللغة التركية من عهد قديم ، ومعناها :

المولى او السيد او الخوجة او رب العلم والقلم .

وقد شاع استعمالها مع لقب ( آغـا ) . فالآغا هو الرئيس ، ولا يشترط فيه ان يكون من العلماء او القارئين ، اما الافندي فيشترط فيه العلم ، او القراءة والكتابة ، ومصدر كلمة افندي وهو « افنديلك » فيه كل معاني اللطف والاحسان والكرم . وقد جاء وقت على السلطنة العثمانية ، كان ولي العهد فيه يحمل لقب افندي

## اقوال وآراء

المال هو الشيء الوحيد الذي يمكن ان يتحول الى كل شيء .

على المرء ان يعمل ، وليس عليه ادراك النجاح .

الممثلون هم الذين يعطون الحياة لاختراعات المؤلف .

التعصب سياج محكم ، يحيط بالنفس ، فيحجب عنها نور الحقيقة .

# شعب وعرش

للأستاذ علي الصقلي



الشعب حولك ملتف ومجتمع … فليس الا لما تمليه يستمع
صنعت من ثورة الاحرار ابنائه … امجاده ، ولانت الحاذق الصنع
من ثورة حملت يمناك مشعلها … غداة ناء بها الاحزاب والشيع
واها لنفسك كم باتت بساحتها … اماني الشعب والآلام تصطرع

مولاي فخرا لشعب انت قائده … نحو المظائم . تدعوه فيندفع
عودت ابناءه حب العلى فمضوا … كانما لهم بالمشترى طمع
راضوا الجبال فما خارت عزائمهم … كلا ؛ ولا شابها في باسها زمع
رمى الطموح بهم اسمى شواهقها … وكم يشين الشباب الباسل القنع
لا يسألونك الا ان تباركهم … فان فعلت ، فابشر انهم قرعوا
كم ذللوا باسمك السمح الصعاب وكم … بنور حكمتك السامي قد ابتدعوا
يا بارك الله فيهم فتية نجبا … وبارك الله ما شادوا وما صنعوا
هم بناة طريق الوحدة استبقوا … كالطير نحو طريق المجد حين دعوا
وهم غدا امل الصحراء قد طلعت … على عشائرها البشرى اذا طلعوا
هنالك الوطن الغالي يعيث به … قوم على الظلم والاجرام قد طبعوا
سنفتديه اذا حق الفداء ولن … نقر ـ يوما ـ وشبر منه مقتطع !
ويا محمد ما يرجى سواك لها … ومن سواك بذاك العبء يضطلع
فان عزمت ففجر النصر موعده … غد . وكل ضباب ثم ينقشع
تلك الاماني .. قد اضحت شواردها … قابا ، وكل سليب سوف يرتجع

قل للطغاة من المستعمرين : غدا … يرون ما لم يكن في خاطر يقع
ان املوا ... فغدا تبدو لاعينهم … آمالهم كسراب ظل يلتمع
وان هم امنوا ... فالخوف عاقبة … للغاصبين بما جاؤوه والهلع
اي«ماكس» ياحامي الصحراء: نحن هنا … ان كنت ذئبا فقد اودى بك السبع

ليهن شعبك يا مولاي ان له … مجدا على هامة الجوزاء يرتفع
شادته همتك القعساء في شمم … طودا وهيهات ما شيدت ينصدع
لله من همة قعساء طامحة … لها بكل عزيز شامخ ولع
للشعب في كل يوم منك مأثرة … كريمة ، اي شكر ان لها يسع

عرش وشعب وما ادرى لايهما    ازجى التهاني ، وفي العليا هما شرع

كلاهما في كفاح الظلم خافقة    اعلامه ، والى ميدانه سرع

يد على الجور والاقطاع واحدة    من رام تفريقها يوما فمنخدع

آخى الصراع لنيل الحق بينهما    والحق ليس بغير السيف ينتزع

وانما عيدك الميمون طالعه    للشعب عيد من الامجاد مبتدع

اطل كالفجر يحدو عند مطلعه    ركب الضياء ، وبالانوار يلتفع

يأسو النفوس ، وينضو عن عزائمها    ثوب الونى ، داعيا للجد من هجعوا

الشعب للعرش ما يخفى ويعلنه    والعرش للشعب ما ياتي وما يدع

وانما عرشك الشماء سدته    عقيدة ونضال ليس ينقطع

وثورة في سبيل الشعب عارمة    ترعى الكريم ، وتفني ماله طبع

كالظل طورا ، وكالبركان هادرة    طورا ، يعاني لظاها الناكث الجشع

دفاقة كهموع المزن ، دائمة    او يجلو الجوع والارهاق والفزع

فما كعرشك عرش في مآثره    ولا كمثلك بين الناس متبع

ولا كشعبك شعب لا ينام على    ضيم وليس لما قد رام ممتنع

الملك عندك ما ارست قواعده    ارادة الشعب ، لا الارجاف والخدع

وكل ملك تجافى ان يشاد على    دعائم الحب والاخلاص مصطنع

تالله ما ضم عرش قبل عرشك من    على محبته الاضداد تجتمع

اصخ فانك ملء الارض اجمعها    ترتاد اخبارك الدنيا وتنتجع

قد عطر اسمك منها كل قاصية    فما عدا ذكره شيخ ولا يفع

فابلغ بنفسك ما قد نازعتك الى    شاو ، نبت عن مداه الانفس النزع

الا رعى الله فيك الشعب حتى ترى    ابناءه الغر ما نالوا ، وما فرعوا

ودام عرشك حصنا يستجير به    من عضه الدهر او من نابه جزع

ودام حولك اشبال غطارفة    من حوض حكمتك الفياض قد كرعوا

---

## عسى

مر اشعب برجل يصنع طبقا ، فقال له :
اسالك بالله الا ما زدت في سعته طوقا او طوقين .

فقال الصانع :
ولم ؟ فاجاب اشعب :
عسى ان يهدى الي فيه شيء ...

# مشاهداتي في الحجاز

## 2

للاستاذ : عبدالله كنون

هذا وقد اجتمعنا في جدة بعالمين جليلين ، طالما سمعنا بهما وتمتعنا بآثارهما ، وهما الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي والاستاذ خير الدين الزركلي ، اما الشيخ الميمني فقد هبط الحجاز حاجا مثلنا ، واما الاستاذ الزركلي فقد قدم من مصر للاتصال بالملك سعود ، ومن المعلوم انه كان مندوبا لجلالته لدى الجامعة العربية ، وعين اخيرا سفيرا للملكة العربية السعودية في المغرب ، وكنا علمنا بهذا التعيين ليلة سفرنا من ارض الوطن ، فلما لقيناه هنأناه ورحبنا به ، فوجدناه مبتهجا مسرورا ، وتجاذبنا واياه اطراف الحديث ، وكذلك تحدثنا الى الشيخ الميمني ، احاديث علمية مفيدة ، وكانت سهرة ممتعة حقا في بيت السفير الكريم الاستاذ غازي .

وعلمنا ايضا بوصول صديقنا الاستاذ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ، فابتهجنا بلقائه ، وكنا اليه بالاشواق اذ كانت صلتنا به ايام مقامه في المغرب ، قوية جدا ، فلما غادره الى العراق منذ عشر سنوات ترك في انفسنا فراغا لا يسده غيره .

وكنا نتوق الى التعرف برجل جدة وفاضلها الشيخ محمد نصيف ، فقد طالما حدثنا الصادرون والواردون عنه ، ورأينا كثيرا من الكتب التي قام بنشرها انتصارا للدعوة السلفية وتمكينا لها في البلاد الاسلامية — ولكنه مع الاسف لم يكن في جدة آنذاك ، بل سافر الى الشام للاصطياف هناك ، وقد قابلناه بعد في مصر عند سماحة مفتي فلسطين .

### تصحيح خطأ

ورد في القسم الاول من هذه المقالات ان الملك سعود وهب جميع قصور والده التي بالمملكة للتعليم .
والصواب : **قصور والده التي بجدة ،**

وجاء في آخر المقال : **لقد قضينا في جدة ليلتنا الكبرى** وهو خطأ مطبعي ، صوابه : **لقد قضينا من جدة لبانتنا الكبرى .**

وفي مدة اقامتنا بجدة كان المطوف السيد عبد الوهاب الحريري ونجلاه السيدان محمد وعبد الرحمن يتصلون بنا ، ويقضون لنا المهام ، وعند ما قر رأينا على السفر الى المدينة المنورة بالطائرة — على خلاف ما اوصانا به الكثير من الحجاج وهو ان نسافر اليها بالسيارة — ويا ليتنا اخذنا بوصيتهم — اقتطعوا لنا تذاكر الطائرة كما عنوا بكراء المنزل الذي اقمنا به في منى، والسيارة التي صحبتنا بعد ذلك من جدة الى مكة ومنى وعرفات ، وقاموا بتهيئة جميع ما يلزمنا ليوم الوقفة . ( وذلك بمعاونة رجال السفارة طبعا ) فجازاهم الله احسن الجزاء .

وقد اقمنا بجدة ثلاثة ايام فقط ، ومع ذلك فانها كانت مليئة بالعمل والنشاط والاتصالات التي ذكرنا المهم منها ، على اننا اصبنا فيها بعرض الزكام الاسيوي كما راى القارىء ، ولكن الله عز وجل رزقنا الاعانة والتوفيق وبارك لنا في تلك الايام القلائل حتى انهينا جميع اشغالنا واصبحنا في فجر يوم الخميس 29 ذي القعدة — 27 يونيه نمتطي الطائرة المتجهة صوب المدينة المنورة ، وكان ركوبنا لها قبل الفجر بقليل وان كانت هي لم تنهض الا بعد الاذان الذي سمعناه من مسجد المطار ( وفي المطار مسجد ) ومجيء الذين صلوا الصبح في هذا المسجد من اهل البلاد ومن الذين كانوا يعرفون أن الطائرة لا تقوم الا

بعد الصلاة ؛ وهكذا سرعان ما امتلات جميع المقاعد التي كانت فارغة وحلقت الطائرة فى الجو ، وكنا نحن على وضوء ، فمنا من صلى فى مقعده ومنا من انتظر النزول فى مطار المدينة حتى يصلي على الارض ولو فى آخر الوقت. لاسيما ومدة السفر اقل من ساعة، فماكان باسرع من انتشار نور النهار فى انحاء الافق ، واذا بنا لا ننزل الا وقد اقبل النهار من هاهنا وهاهنا ـ وفهمت كيف وقعت قضية الوادي التي وردت فى الحديث اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم هو وصحبه الاكرمون على اهبة لصلاة الصبح فما اغفوا ، وهم ينتظرون طلوع الفجر ، الا وقد ضربتهم الشمس ! ـ ... ان ما بين الفجر هنا والشروق متقارب جدا . اليس هو الشرق ؟

.. وهبطنا الارض ، واي ارض هي ؟ ! انها الارض التي انبعث منها شعاع الايمان فاضاء ما بين المشرق والمغرب، انها الارض التي آوت رسول الله ، فلم يبغ بها بديلا بعد، وكان يدعو الله ان يحببها اليه والى اصحابه من المهاجرين كحبهم مكة مسقط رؤوسهم او اشد ! انها الارض التي عرفت دعوة الحق فايدتها وناصرتها واصبحت دار الايمان الاولى كما قال الله سبحانه وتعالى فيها ( والذين تبواوا الدار والايمان ) هي المدينة بأل الحقيقية فلا مدينة غيرها ، كما انه لا مدنية ( بفتح الدال ) غير المدنية التي نشأت بين لابتيها ! هي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مهبط الوحي ، وموطن الجهاد ، وقرارة العلم الذي اخرج الناس من الظلمات الى النور ، هي المدينة التي تثبت فى كل لحظة صلة الارض بالسماء ، وصلة ساكنها عليه السلام بالرفيق الاعلى ، فاين منها مدن ( الناطحين ) للسحاب ؟ ومدن المستفتحين أ بالكلاب ) ؟ . .

الله اكبر ، هذا احد ، الجبل الذي يحب الرسول ويحبه الرسول ، وهذه قبا ، حيث المسجد الذي اسس على التقوى ، من اول يوم ! وهذه هي القبة الخضراء يغمرها النور ، ويتغمدها الرضوان ، وتحف بها ملائكة السماء !

هذه دارهم وانت محب ! ما بقاء الدموع فى الآماق ؟

ودلفت بنا السيارة ، وكانت سيارة عمومية ، تقل الزوار من مختلف بلاد الاسلام ، جاءوا يعشون الى ضوء هذا السيد الكريم الذي لا اكرم منه على الله ، وهم على اختلاف طبقاتهم ، وتباين مقاماتهم ، كانوا فى منتهى الادب والخشوع ، مستشعرين عظمة الحضرة التي يقصدونها ، وهيبة المقام الذي يتوجهون اليه ... وقطعنا المسافة بين المطار ووسط المدينة ، فى هذا الاستغراق الذي لم يكن يشوشه الا هذا السائق المرح ، يترنم ببعض التوسلات تارة بعد تارة ، وبدخن ، والتدخين فى ذلك الظرف كان عندي من قلة الذوق ان لم اقل من سوء الادب ، ولكنه سائق المدينة ، لابد من احتماله ، الم يكن يدخن ويتوسل ؟ .

وغادرنا السيارة ، وقصدنا الى البيت الذي نزلنا فيه ، ونحن فى غمرة من الغبطة والسرور ، والسعادة والحبور ، بحيث ذهلنا عن انفسنا فلم ندر كيف تناولنا ما قدمه الينا رب مثوانا من طعام الفطور ، وقمنا نتجهز للزيارة الكريمة بتجديد الطهارة ، ولبس احسن الثياب واوقره ، والتطيب ، وما هي الا كلا ولا حتى كنا نقصد المسجد النبوي فهل هذه يقظة ام منام ؟ هذا هو المسجد الذي وضعت فيه اسس العلم الاسلامي كله ، والعلم الاسلامي يعني هذه الحضارة الزاهية التي عاش العالم ولا يزال يعيش فى ظلالها موفقا بين مطالب الروح والجسد وجامعا بين سعادة الدين والدنيا ، هذا احد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال لغيرها ، ونحمد الله اننا لم نخالف عن هذا الامر قط ، طاعة لله ورسوله، هذا هو المسجد الذي الصلاة الواحدة فيه خير من الف صلاة فيما سواه ، فتعال بنا نغتنم هذا الفضل العظيم ونصل تحية المسجد بهذه النية راجين القبول من المولى الكريم ...

وانصرفنا الى المواجهة الشريفة فلا استطيع ان اعبر عما خامرنا من شعور الهيبة والاجلال لذلك المشهد العظيم ووقفنا كانما على رؤوسنا الطير ، وخشعت ابصارنا ، ووجفت قلوبنا ، وكانت لحظة بمثابة العمر ، انطلقت فيها السنتنا بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم ودعاء الله عز وجل ان يجزيه عنا افضل ما جزى نبيا عن امته ، ثم السلام على صاحبيه وخليفتيه ، الصديق والفاروق رضي الله عنهما ، ورجعنا بعدها الى المكان الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : ( ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ) نرتع بما يناسبه من دعاء وتفكر ، وقراءة وتدبر ، وصلاة ، الى ان صلينا الظهر وعدنا الى المنزل .

وجاء للسلام علينا صديقنا الاستاذ الحاج محمد ابن اليمني الناصري ، فآنسنا بزيارته وحديثه ، ولم ينقطع عنا مدة اقامتنا بالمدينة النبوية ، وسيادته مجاور بها منذ عدة سنوات، فهنيئا له ، وما تصلح تلك الاخلاق الطيبة الا لطيبة المطيبة :

اذا لم تصب فى طيبة عند طيب
به طيبة طابت فاين تطيب ؟

وكذلك زارنا نسيبه السيد محمد بن الطيب ، وهو يشتغل استاذا بمدارس الحجاز ، وبقي يتردد علينا في المدينة وفي مكة وياخذ بيدنا اخذ الله بيده ، ثم لقيناه في مصر وهو يستعد للعودة الى الوطن ... ومثله ادبا واخلاقا من يقول انا مغربي في المشرق .

وعاودني مرض جدة ، اي هذه ( الانفلونزا ) او انف العنزة كما يتوهم بعض الاطباء اصل الكلمة ، والواقع اننا اجهدنا انفسنا بالسفر قبل الفجر ثم الزيارة الطويلة التي مكثنا بها في المسجد قرابة اربع ساعات في زحمة عظيمة ... ففي العشية ثقلت عن الخروج وارتفعت حرارة جسمي الى رقم غير عادي ، وهكذا مكثت ثلاثة ايام ، بعد ذلك تحت العلاج ، وتحامل الرفقاء على انفسهم ، وفي الحقيقة انهم كانوا دائما اكثر صبرا وتجلدا مني ، فخرجوا الى المسجد وبقيت وحدي في المنزل ، اداري الحمى والصداع ورشح الانف ، على انني اشهد انهم بقطع النظر عن مرضي كانوا دائما اكثر انقطاعا للعبادة واقوم بنوافل الخير مني ، على انهم لم يلبثوا ان اصيبوا واحدا بعد واحد بنفس المرض واضطروا لمعالجة الطبيب والاقامة بالبيت كل على حسب متنه ، وضعف المرض او قوته ، جعله الله طهورا ومحص به عن الجميع ، وكنت اثناء مرضي استقبل الزوار الكثيرين ، ما بين مغاربة وحجازيين ، ممن لهم مخصصات معينة في مال الوقف الذي معي ، وممن لا مخصصات لهم وانما يؤملون ان تعمهم عطايا جلالة الملك على يد وفده الرسمي ... فكان في مرضي الذي اوجب اقامتي بالبيت ما سهل علي انجاز هذه المهمة بسرعة . ولم يحوج هؤلاء الزوار الى تكرار الزيارة في حالة ما اذا لم يجدوني في البيت ، وهكذا توصل الجميع بما ينوبه في الحال ، وانصرف رطب اللسان بالدعاء لمولانا الملك بدوام العز والنصر والتاييد .

والمغاربة المقيمون بالحجاز طبقات مختلفة ، منهم — وهم الاكثر عددا — اخواننا الشناقطة المشهورون منذ زمان بحب المجاورة في البلاد المقدسة ، وذلك لانهم فضلا عن الشعور الديني الذي يجذبهم الى المجاورة ينسجمون كثيرا مع طبيعة البلاد واهلها ، فلا يشعرون بفارق ما بين حياتهم في وطنهم وحياتهم في الحجاز ... وهم كسائر المغاربة يفضلون المدينة على مكة ، اليسوا مالكية ؟ ومذهب مالك هو المشار اليه بقول خليل بن اسحق : ( والمدينة افضل ثم مكة ) ولهذا فعددهم بالمدينة اكثر منه بمكة ... على انه فيهما معا كثير ، ومن اجل ذلك كان رفيقنا الاستاذ السيد محمد بن عبد الرحمن العلوي الشنقيطي يحس هنالك كانه بين اهله وذويه ، فما يزال في زيارات متتابعة لهم ، ولا نراه الا مع رفقاء عديدين منهم .

ومن المغاربة المقيمين بالحجاز افراد هاجر آباؤهم او هاجروا هم منذ مدة طويلة وهم يعتبرون من الرعايا الحجازيين كصاحب البيت الذي نزلنا فيه ، وينزل فيه وفد الحج الرسمي كل سنة ، وكالسيد محمد بن عبد الرحمن الوالي الفيلالي صاحب مدرسة التهذيب بالمدينة ... وآل الوالي من الاشراف الادارسة بتافيلالت ، ويخطىء فيه الناس فينسبونه علويا على العادة في كل شريف جاء من تافيلالت اللهم الا ان يكون نسب الوالي هو الخطأ فتصبح علوية حينئذ ، وهذا الرجل هو من امثل المغاربة المقيمين بالحجاز اخلاصا ووطنية ويقوم بمهمة شريفة وهي التعليم ... وقد استدعانا لبيته وزرنا مدرسته ، وان كان الوقت عطلة ... وما احرى هذه المدرسة بالمساعدة .

ومنهم ايامى كثيرات ، توفي ازواجهن عنهن اثناء الحج او بعد المجاورة زمنا ، فلم يستطعن الرجوع الى المغرب ... وهن يمثلن اكثر مدن المغرب ونواحيه ، من فاس ومراكش والدار البيضاء والقصر الكبير وتطوان وغير ذلك ، وحالتهن تدعو الى الرثاء ، فعسى أن يقع الاعتناء باحصائهن كسائر المغاربة وتسهل لهن العودة الى مساقط رؤوسهن او تنظم لهن اعانة مناسبة في حالة ما اذا اخترن البقاء هناك .

وقد تكرر ذكر البيت الذي نزلنا فيه ، ولم اشر الى انه البيت الذي كان يسكنه العلامة المحدث الشيخ سيدي محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله مدة اقامته بالمدينة المنورة ، وعلى ما قيل لنا انه من اكبر البيوت القديمة ، وهو على الطراز التركي ، والطابق السفلي الذي كنا نازلين فيه عبارة عن قاعة طويلة ذات دكتين مفروشتين بالحشايا والوسائد عن يمين الداخل ويساره ، في حين ان وسط القاعة مفروش بالكراسي ، وفي اعلاه فتحة الى السماء بمثابة الحلقة التي تكون في وسط الدار عندنا ، وعليها قلع ينشر في وسط النهار بواسطة حبال متصلة به لاتقاء شعاع الشمس ويطوى فيما عدا ذلك طلبا للتهوية ، وارتفاع هذه القاعة كبير جدا بحيث يساوي اعلى طبقة في المنزل ، وقبل القاعة يوجد مقعد متوسط يستعمل كمحل للاكل ، وليس في البيت حمام ولا دورة مياه عصرية ، والماء ينقل اليه بواسطة سقاء . كما ان الاستنارة فيه وفي غيره من بيوت المدينة ما تزال بواسطة مصابيح الغاز ... فالملاحظة العامة هي ان المدينة لم تحظ حتى الساعة بعناية كبيرة من حيث الاصلاح وادخال وسائل الحضارة فيما عدا المسجد النبوي .

واما المسجد فلا يستطيع احد ان ينكر العمل العظيم الذي قام به الملك سعود في توسيعه وتجديده . ولو لم يكن له اثر في الحجاز الا هو لكفى ، والقسم الذي

زاده الملك في المسجد رائع جدا سواء من حيث البناء او الزخرفة ، ولا مناسبة مطلقا بينه وبين القسم القديم ، ومن محاسنه ان التهوية فيه كهربائية بطريـــــق ( الكندشين ) بخلافها في القسم القديم فانها فيه بطريق المراوح ، وكم تسبب من اضرار للمصلين .

وعلى كل حال فان المسجد بهذا العمل قد اتسعت ارجاؤه وصار متعة للنظر زيادة على كونه متعة للروح ... وكم يحلو للزائر الجلوس في بلاط من هذه الزيادة بعد الزيارة والصلاة ، فيرى افواج الزوار داخلين من ابواب المسجد العديدة ، كل ولونه وسحنته ولغتـه ، يحدوهم الايمان ويدفعهم الشوق الى المقام الشريــف فيسلمون ، ثم ياتون مشرقة وجوههم مبتهجة نفوسهم ، فيجلسون هنا وهناك ما بين قارىء وداع ومستغرق في التفكير والاعتبار ، حتى يرتفع هذا الصوت الملائكي ، صوت المؤذن ، ويا لله من مؤذن المدينة ! انه ذو صوت ليس في العالم اندى ولا اطرى ولا اعمق تاثيرا منه ... وانه ، والله ، حينما يرجع كلمات الاذان ، ليخيل الي انه صوت منبعث من الجنة ، وان ما بيننا وبين العالم الباقي قد طوى ،ونحن في باحات الخلد نرتع ، حياك الله يا مؤذن المدينة ! وحفظ عليك هذه النعمة التي جعلتني اعذر من قرا قوله تعالى ( يزيد في الخلق ما يشاء ) بالحاء المهملة ، ان كنت انكر عليه هذا الاغراب !! .

فاذا اذن المؤذن ارتج المسجد وغص بالمصلين على سعته ومضت هنيئة ليست من هذا العالم المادى في شيء ، وكنت اتصوره صلى الله عليه وسلم مشرفا من عليائه ينظر الى هذه الالوف المؤلفة ، وقد تراصت صفوفها في الصلاة ، فيبتسم فرحا بالمومنين من امته ، كما ابتسم في مرض موته وقد اطل من حجرته فسره ما راى من اقبال الصحابة على عبادة الواحد الاحد جل وعلا ، ان المغزى في هذا لهو ما عبر عنه البوصيري رحمه الله في داليته بقوله :

والمرء في ميزانه اتباعـه    فاقدر اذ اقدر النبي محمد

وهو ما اقام منه الفيلسوف الانجليزي (كارليل) برهانا ساطعا على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم ، فان الدعوى التي لها هذا ( الما صدق ) الخالد في واقع البشرية لا يمكن ان تكون كاذبة .

وجعلنا نتاهب لمغادرة المدينة ، ونفوسنا لا تقوى على ذلك ، ولقد اقمنا بها سبعة ايام مرت كانها طيف خيال وفي اليوم الذي عزمنا فيه على السفر ، وصـل اليها صباحا سفير المغرب بالعراق السيد الحـاج الفاطمي بن سليمان ووزير القصور والاوسمة الاستاذ محمد معمري الزواوي وصحبتهما سفيرنا بجدة الاستاذ غازي ومندوب وزارة الخارجية السيد عبد اللطيـف العراقي... فقضينا اليوم جميعا في انس وسرور ، لم ينغصه علينا الا تلاعب المزور الذي كان مكلفا باحضار تذاكر الطائرة التي ستنتقل علينا الى جدة ، فكان يرد علينا آونة بعد اخرى ويطمئننا على انه يريد ان يحقق لنا وقت قيام الطائرة بالضبط حتى لا يطول انتظارنـا بالمطار ... واخيرا لما ساورنا الياس منه ، جاءنا وقد اذن للمغرب فاعلمنا بان الطائرة ستقوم حوالي العشاء فما علينا الا ان نخف حالا للمطار .

وعرفنا انه يريد ان يتخلص منا فقط ، وذهبنـا للمطار ، فما راعنا الا تدل المقاهي والمطاعم الشعبية التي حوله يعرضون علينا كراء اسرة للنوم نقضي عليها ليلتنا في الفضاء ريثما يحين موعد قيام الطائرة ، وبتنا فعلا بالمطار ، ولولا مروءة مديره الذي اتصل به بعض الرفقاء فتاسف لما وقع ، واكد لهم ان هذا من تهاون المـزور ، واذن لنا بالسفر على الطائرة التي قامت بعد منتصف الليل بثلاث ساعات ، لما كنا غادرنا هذا المطار الا في ضحى الغد ... وفكر في التعب الذي نلقاه والحر الـذي نستهدف له ، واحكم على معاملة هذا المزور الذي ما لقي منا الا اكرم المعاملة واجملها ، ولقد قيل لنا ان الوفد في العام الماضي بقي يتردد على المطار ليلتين ، ونحن لما وصلنا الى المطار وجدناه غاصا بالركاب المنتظرين وقد باتوا كلهم هناك ، وركب البعض منهم قبلنا وتركنـا الباقين ينتظرون دورهم ! هذا امر يجب النظر فيـه ، ونقص لابد من تلافيه .

« يتبع »

# اقطعوا رأسه بشاقور

للأستاذ عبد القادر الصحراوي

( انا سلطان السلاطين وملك الملوك ، مانح التيجان للملوك على وجه البسيطة ، ظل الله فى الارض ، سلطان البحرين الابيض والاسود ، وخاقان البرين ، وملك الروملى ، والاناضول ، وبلاد الكرمان ، وبلاد الروم ، وزلكدريا ، وديار بكر ، وكرستان ، وآذربيجان ، وفارس ، ودمشق ، وحلب ، والقاهرة ، ومكة والمدينة ، والقدس ، وكل البلاد العربية ، واليمن ، وبلاد كثيرة .

افتتحها آبائي واجدادي الامجاد بقوة سلاحهم ، وجعلتها جلالتي المعظمة تابعة لسيفي الملتهب ، ومهندي المنتصر .

انا السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان، ابن السلطان بايزيد خان ، ابعث اليك انت فرنسيس ملك فرنسا ) .

هكذا كان يكتب الى الملوك المعاصرين له السلطان سليمان العثماني ، سليمان القانوني كما كان يدعوه الاتراك ، او سليمان الكبير كما كان يلقبه الاربيون .

ورغم ما يبدو فى هذا الخطاب من عجرفة وانانية واعتداد كبير ، فانه يعبر عن حقيقة لا يتطرق اليها الشك ، هي ان السلطان سليمان العثماني كان قويا جدا وعظيما جدا ، وكان معتدا بقوته وعظمته الى حد كبير .

لقد كان عصره هو الذروة بالنسبة للدولة العثمانية ، ولقد بلغ بدولته على عهده اقصى ما امكنها ان تبلغه من الازدهار والعظمة والفتح والتوسع والاستعمار فى آسيا واوربة وافريقية ، ومع ذلك فانه لم يستطع هوولا اي واحد من سلاطين الدولة العثمانية، ان يفتح المغرب او ان يفكر فى ذلك تفكيرا جديا، ولا شك ان لذلك اسبابا متعددة ، منها بعد الشقة من جهة ، ومنها من جهة اخرى ، ما عرف به المغرب والمغاربة دائما من المناعة وشدة المراس والانفة والصمود فى الحرب .

كانت فرائص الملوك ترتعد من ذكر السلطان سليمان القانوني او سليمان الكبير ، وكان يكفي ان يتوجه باطماعه الى بلد من البلاد لتهتز العروش تحت ملوكها ، وتتحرك التيجان فوق رؤوسهم .

اما كل ما يهمنا نحن الآن من السلطان سليمان العثماني ، فانما هو كونه احد ابطال القصة التاريخية التي نتخذها اليوم موضوعا للحديث ، واذا كانت القصة قد وقعت حوادثها فى المغرب ، فان ذلك لم يكن ليمنع السلطان سليمان العثماني من ان يكون له فيها دور يلعبه من القسطنطينية عاصمة ملكه .

اما بقية ابطال القصة ، فهم ابو عبد الله محمد الشيخ ثاني ملوك الدولة السعدية بالمغرب ، وابو حسون الوطاسي آخر ملوك الدولة المرينية ، ثم الفقيه عبد الوهاب الزقاق ، وهناك ابطال ثانويون لا نرى موجبا للتنويه بهم فى هذه المقدمة ، وقد ترد اسماء بعضهم فى صلب الموضوع .

اما عبد الله محمد الشيخ وابو حسون الوطاسي فربما كانا فى غنى عن تقديمهما او التعريف بهما ، فقد كانا ملكين ، وكل كتب التاريخ تذكر حياتهما وما كان بينهما من نزاع بتفصيل لا مزيد عليه .

واما الفقيه عبد الوهاب الزقاق ، فقد كان مجرد فقيه ، وكان من الممكن لذلك الا يحفل به التاريخ وان يهمله وينساه ، كما اهمل الكثيرين غيره ممن لم يكن لهم ضلع كبير فى السياسة ، ولم يكن لهم نفوذ فى الحكم، ولكن التاريخ مع ذلك ذكره لسبب واحد ، هو ان قصة موته تتصل اتصالا وثيقا بقصة موت ملك من الملوك ، هو ابو عبد الله محمد الشيخ ، احد ابطال قصتنا هذه، او بطلها الرئيسي اذا اردنا الدقة فى التعبير .

ومع ذلك فان التاريخ كان بخيلا جدا في حديثه عن الفقيه عبد الوهاب الزقاق ، وانت في حاجة الى ان تستعرض كتب التاريخ كلها ، لتعرف القليل الممكن عن هذا الفقيه .

فهو اولا عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق ، اي انه حفيد الفقيه علي الزقاق صاحب المنظومة المشهورة في الفقه المالكي .

كان الفقيه عبد الوهاب الزقاق خطيبا بجامع الاندلس بفاس ، وكان مدرسا يشرح لطلابه مختصر الشيخ خليل ، وكان الى جانبه فقهه ، عالما بالنحو متظلعا فيه ، ولعله كان يقول الشعر احيانا ، فقد حرصت كل الكتب التي تحدثت عنه ، على ان تورد له هذين البيتين ، والا تورد له غيرهما :

من اخمل النفس احياها وصونها
ولم يبت طاويا كشحا على حذر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها
فليس ترمي سوى العالي من الشجر

وكان للفقيه عبد الوهاب الزقاق آراء خاصة في بعض جزئيات الدين ، كان يدافع عنها ويكتب فيها الرسائل احيانا ، منها انه كان يرى ان وعيدالله للعصاة والمخالفين عن امره ، ليس من اللازم ان يتحقق ، وان من الجائز في حق الله ان يخلف وعيده بالعقاب والانتقام والتعذيب .

هذا كل ما احتفظت لنا به كتب التاريخ عن الفقيه عبد الوهاب الزقاق ؛ فيما عدا قصة موته ، ولعله على ضآلته كاف لان يدلنا على بعض الملامح من شخصية هذا الفقيه الورع ، الذي ذهب ضحية وفائه واخلاصه واتخاذه الحيطة لدينه ؛ كما سيبدو لنا بعد حين .

الآن وقد قدمنا كل ابطال القصة ؛ فعلل من الممكن ان نعود فنبداها من اولها .

كان ذلك في اواسط القرن السادس عشر ، وكان الصراع على اشده بين دولة مقبلة ، ودولة مدبرة ، بين دولة المرينيين التي كان دورها قد انتهى ، ولكنها كانت لا تزال متشبثة بمكانها على المسرح ، لا تقبل التخلي عنه ، باي حال من الاحوال ، وبين دولة السعديين التي كانت تصعد سلم المجد في خفة وسرعة ، والتي كانت تفرض وجودها بحد السيف ، وتحكمه في كل خلاف ينشب بينها وبين غيرها ، كيفما كان مظهر هذا الخلاف ، وايا كان من يصدر عنه ، خصما سياسيا ، او حليفا يخشى غدره ، او فقيها ورعا لا يرى اي موجب لنقض بيعة ملك شرعي لمجرد الخوف او التملق او الرضى بالواقع .

في سنة 1524 ميلادية ، توفي بفاس عاصمة الدولة المرينية ، السلطان المريني ابو عبد الله المعروف بالبرتغالي ، وولى الامر بعده ولي عهده اخوه ابو حسون ، ويبدو ان ابا حسون هذا كان ضعيفا ، او كان قليل الحظ سيء التدبير ، ومهما يكن ، فقد حالفه النحس من اول يوم ، وظل النحس يطارده الى ان اسلم الروح نهائيا في معركة فاصلة بينه وبين السعديين .

ثار عليه في اول عهده بالملك ابن اخيه المتوفى ، ولم يجد اية صعوبة في ان يحمله على التنازل له عن العرش ، وهكذا اصبح الملك بعد خلع ابي حسون ، هو السلطان احمد بن ابي عبد الله البرتغالي .

ومع ذلك فان دور ابي حسون في هذه القصة لم ينته بعد .

كانت الاحداث في هذه المدة وقبلها بمدة ليست باليسيرة تتمخض في جنوب المغرب عن دولة جديدة هي دولة السعديين ، بل ان هذه الدولة كانت ولدت بالفعل ، وكانت تترعرع بسرعة في مهدها البعيد اذ ذاك عن ايدي متناول الملوك المرينيين .

كانت هذه الدولة قد استقلت بجنوب المغرب ، وغلبت على مراكش ، واتخذتها قاعدة لها ، اي ان البلاد كانت مقسمة في هذه الفترة بين السعديين والمرينيين ، فكان الجنوب وقاعدته مراكش للسعديين ، وكان الشمال وقاعدته فاس للمرينيين .

واذا كان المرينيون قد بدا اليأس يخامرهم من ان يغلبوا السعديين على مراكش ، فان السعديين كانوا يتطلعون الى السيطرة على فاس ، والقضاء نهائيا على دولة بني مرين ، وامتلاك المغرب برمته ، وكان الملك السعدي اذ ذاك محمد الشيخ ، يكثر من ترديد هذا البيت للمتنبي :

الناس كالناس والايام واحدة
والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

وتمت الغلبة بالفعل لابي عبد الله الشيخ ، فقد غزا المرينيين في عقر دارهم ، وانتصر عليهم ، وبعثهم اسرى الى مراكش ، وعلى راسهم جميعا السلطان احمد بن ابي عبد الله البرتغالي ، الذي كان من قبل قد ثار على عمه ابي حسون ، وارغمه على التنازل له عن العرش

لم يفلت من المرينيين من قبضة ابي عبد الله محمد الشيخ الا ابو حسون ، الذي كان قد تنازل عن العرش لابن اخيه ، وقنع بان يصبح قائدا في جيشه .

نعم ، اقلت ابو حسون ، لا ليخلد للراحـــة ، ولا ليقنع من الغنيمة بالاياب ، ولا ليحمد الله على السلامة، وانما ليجوب بلاد الله ، يبحث عمن يعينه على سعيـه لاعادة مجد دولته .

وعند ما كان ابو عبد الله محمد الشيخ ، يرسي قواعد الدولة الجديدة ، وينعم بالنصر ، ويتلقى هـو وحاشيته وافراد عائلته قواعدالبروتوكول ومراسم القصور بالعاصمة ، كان ابو حسون يتجول في اسبانيا ، يستغيث بملوكها ، ويطلب منهم ان يعينوه على امره ، وعند ما لم يجد ابو حسون من الاسبانيين عونا تركهم الى الجزائر .

كانت الجزائر اذ ذاك ولاية عثمانية كتونـــس وطرابلس ومصر وسائر البلاد العربية الاخرى ، وكان المرينيون في المغرب على علاقات ودية طيبة مع الدولـة العثمانية ، يعترفون لها بالخلافة وان لم يتبعوهـــا او يخضعوا لها ، فكانوا يخطبون باسمها على المنابر وربمـا ضربوا عملتهم باسم السلطان سليمان العثماني .

هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فان العثمانيين لم يكونوا يكرهون ان تتم لهم السيطرة على المغرب ، واذا كان من الصعب على القسطنطينية ان تفكر في ذلك جديا او ان تنفذه ، لبعد الشقة ، ولاسباب اخرى كثيرة ، فربما لم يكن ذلك من الصعب على واليها بالجزائـــر ، خصوصا وان سلطان الدولة الجديدة بالمغرب ابا عبـد الله محمد الشيخ ، قد بدات اطماعه تتسع ، وقد بدا طموحه يترامى الى مدينة تلمسان لينتزعها من ايدي الاتراك العثمانيين .

وهكذا وجد ابو حسون من الوالي التركي بالجزائر اذنا صاغية ، واستعدادا لامداده بما يلزم من المــال والرجال والعتاد ، ليستعين بكل ذلك على استرجـاع مجد دولته الذي قضى عليه الملك السعدي ابو عبد الله الشيخ .

وقدم ابو حسون الى فاس من الجزائر في جيش تركي كبير ، وكانت بينه وبين ابي عبد الله محمـد الشيخ حرب كان النصر فيها لابي حسون ، وفر ابـو عبد الله الشيخ الى مراكش يجر وراءه الخيبة ، ويجتر آلام الهزيمة المنكرة بعد ذلك النصر المبين ، ويفكـر في انتقام شديد مريع لشرفه وسمعته ، ولدولته الفتية الطامحة الى الحكم والمجد والسيطرة .

ويبدو ان هذه المدة التي قضاها ابوعبد الله محمد الشيخ بفاس ، وهي نحو من خمس سنين ، كانـت شديدة الوطأة على اهلها ، فقد كان سريعا الى الدماء شديد الفتك ، لا يتورع ولا يتحرج ، بل يضع مصلحة دولته فوق اي اعتبار آخر كيفما كان .

لقد استطاع ان يفرض سلطانه على فاس بالقوة ، ولكنه لم يستطع ان يحمل الناس فيها على محبته ، ولا ان ينسيهم الدولة المرينية التي كانوا شديدي الحب لها والتعلق بها وذكر ايامها بخير وعند ما غلب على امره امام ابي حسون والجيش التركي، تنفس الناس الصعداء في فاس ، وخرجوا يستقبلون ابا حسون استقبــال الفاتحين المحررين .

يقول مؤرخ مغربي هو محمد الصغير الوفراني في كتابه نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي : **( ولما دخل ابو حسون فاسا ، فرح به اهلها فرحا شديـدا ، وترجل هو عن فرسه ، وصار يعانق الناس كبـارا وصغارا ، وشريفا ومشروفا ، وهو يبكي على مـا دهمه واهل بيته ... واستبشر الناس بقدومـه وتيمنوا بطلعته ) .**

ولعلنا لانشك في ان هذا القدر من المحبـــة والاستبشار الذي اظهره الناس بفاس ، لم يكن لشخص ابي حسون نفسه ، وانما كان للدولة المرينية التي كان يمثلها، لقد كان هو وحده، بقية هذه الدولة التي شردها ابو عبد الله الشيخ ، والتي كانت تحظى في فاس بوجه خاص بتاييد جميع الطبقات وحبها واخلاصها .

مهما يكن ، فقد انقضت ايام الاحتفال بالنصر ، وبدات المشاكل تطل ، وكانت اولى هذه المشاكل ان السكان بداوا يتضايقون من جيش الاحتلال الذي كانوا ينظرون اليه منذ مدة على انه جيش التحرير .

لقد استطاع ان يفرض سلطانه على فاس بالقوة، من الجزائر ، ولكن المسالة لم تكن تعني بالنسبة لافراد هذا الجيش تحريرا او نصرا لدولة على دولة ، وانمـا كانت تعني المغامرة والكسب والغنيمة وما الى ذلـك ، وصبر الناس ما صبروا للجيش التركي ، ولكنه بـدا يتطاول الى الحريم .

ولم يجد ابو حسون بدا من ان يدخل في مفاوضات من اجل جلاء هذا الجيش الاجنبي عن المغرب ، بعد ان ادى مهمته ، وكانت نتيجة هذه المفاوضات طيبـة في الجملة على عكس ما كان متوقعا ، فقد جلا عن المغرب جل الجيش التركي، وتخلف منه على حد تعبير المؤرخين المغاربة **( نفر يسير )** .

ولسنا ندري ما اذا كان هذا **( النفر اليسير )** قد فرض على ابي حسون فرضا ، او انه اختار الاحتفاظ به للطوارئ .

عاد ابو عبد الله محمد الشيخ الى مراكش ، واخذ منذ اليوم الاول لوصوله ، يستعد لاعادة الكرة على فاس ، ولم تمض الا تسعة شهور حتى كان كامل الاهبة ، مستعدا للحرب تمام الاستعداد ، وهجم على فاس فلم تستطع ان تصمد له ، ولم يفد ابا حسون ما احتفظ به من الجيش التركي ، ولم يستطع في هذه المرة ان يفلت ، فكان اول قتيل في هذه الحرب بينه وبين ابي عبد الله الشيخ .

قتل ابو حسون، فانتهى بذلك امر الدولة المرينية، واصبحت ملكا خالصا للتاريخ ، واصبح المغرب برمته يدين بالطاعة والولاء لدولة اخرى فتية ، سيكون لها في تاريخه شان كبير ، وستلد له الابطال الامجاد والغزاة الفاتحين ، تلك هي دولة السعديين التي اسسها محمد القائم بامر الله ، وكان اول ملوكها في مراكش ابنه ابو العباس احمد الاعرج ، وثاني ملوكها ابو عبد الله محمد الشيخ الذي قضى على دولة المرينيين ، وجمع اطراف المغرب على الطاعة والولاء لدولة الاشراف السعديين .

كان ابو عبد الله الشيخ ، يتمتع بكل المواهب والصفات التي تجعل منه رجل دولة بالمعنى الصحيح ، كان متمرسا بالحرب قادرا عليها ، مقداما لا يخاف ، وكان مهيبا ذات شخصية قوية طاغية ، وكان طويل الاناة والصبر ، كثير الامل ، وكان الى جانب كل ذلك مثقفا متين الثقافة راسخا في العلم ، متادبا ، يحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب ، وعالما بالشريعة يحفظ القرآن ويفهمه ، ويحفظ صحيح البخاري ، ويجادل القضاة في الاحكام والفتاوي التي يصدرونها .

لم يكن يعيبه الا شيء واحد ، ربما كان هو الصفة الغالبة على الرجال الذين ترشحهم الظروف لمثل المهمة التي كان منوطا به انجازها .

لقد كان عليه ان يرسي قواعد دولة ، وان يثبت حكمها وسيطرتها ونفوذها ، وربما كان ذلك يقتضيه ـ كامثاله من رجال التاريخ ـ ان ياخذ بشيء من الحزم ، بل وبشيء من القسوة احيانا ، ولكنه كان مسرفا في ذلك مبالغا فيه .

لم يكن يقسو فقط على منافسيه من رجال السياسة والعسكرية والحكم ، وانما كان يتعدى ذلك الى العلماء والفقهاء والمتصوفة اذا ما خشي منهم على مستقبل ملكه ، او بلغه انهم كانوا يؤيدون خصومه السياسيين .

وهكذا امتحن ارباب الزوايا ، وقتك ببعضهم ، وشرد الكثيرين منهم ، وقتل الفقيه علي بن حرزوز خطيب مكناس ، لانه كان يذكره فيقول : واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

وعند ما كان محاصرا لفاس قبل فتحها لاول مرة ، قيل له ان السكان والاهالي لن يميلوا اليك الا اذا بايعك الفقيه الامام عبد الواحد الونشريسي ، فبعث اليه من يخاطبه في ذلك ، فقال له الفقيه الونشريسي ( بيعة هذا السلطان في رقبتي ، ولا يجوز لي حلها الا بموجب شرعي ، وهو غير موجود ) .

ولم يرض هذا الجواب ابا عبد الله الشيخ فبعث الفقيه من اغتاله غدرا ، وهو راجع من مجلس التدريس بجامعة القرويين .

وعند ما فتح ابو عبد الله الشيخ فاسا للمرة الثانية ، وقتل اباحسون آخر ملوك الدولة المرينية بلغه ان الفقيه عبد الوهاب الزقاق الذي تحدثنا عنه في صدر هذا الكلام ، كان يميل الى ابي حسون وينصره ، وانه كان يرى في خروج السعديين على الدولة المرينية شقا للطاعة وتفريقا لكلمة المسلمين وكان ينظر للحروب التي يشنونها على انها حرب غير مشروعة .

كان الفقيه الزقاق يرى ذلك عن عقيدة ويدعو اليه ، فلما تم النصر لابي عبد الله الشيخ امر بالقبض عليه ، واستدعاه اليه ليتولى محاكمته بنفسه .

كانت المحاكمة قصيرة رائعة ، وكانت معروفة النتيجة منذ البداية ، لقد صدر حكم الاعدام على الفقيه الزقاق قبل ان يقاد الى مجلس ابي عبد الله الشيخ ، وكان الفقيه متاكدا من نهايته ، عارفا انه ميت لا محالة وان ابا عبد الله الشيخ لا يستدعيه ليحاكمه ، وانما ليهينه قبل ان ينفذ فيه حكم الاعدام ، فلم يتردد ولم يجبن ، ولم يحاول التملص من تهمته ، ولم يفكر في الدفاع عن نفسه او تبرير موقفه ، وانما صمد صمود الابطال ، وعرف كيف يجعل من محاكمته محاكمة له ولخصمه السلطان ابي عبد الله الشيخ في وقت واحد ، قال له السلطان ابو عبد الله الشيخ :

**اختر باي شيء تموت ؟**
فاجاب الفقيه الزقاق :
**اختر انت لنفسك ، فان المرء مقتول بما قتل به .**

وتملكت السلطان سورته وشدته ، وغلبت عليه القسوة والكبرياء والانانية ، وصدمه جواب الفقيه الزقاق ، فصاح في المحيطين به من حاشيته وجنوده :
**اقطعوا راسه بشاقور .**

« يتبع »

# فهرس العدد السادس



مطبعة فضالة ـ فضالة

اقرا في العدد المقبل :

العلاقة بين الدين والفلسفة

للاستاذ الكبير الزعيم علال الفاسي

بحث ممتع كتبه باللغة الفرنسية الدكتور مباهات تيركير استاذ الفلسفة الاسلامية في جامعة انقرة .

وترجمه لمجلة « دعوة الحق » الاستاذ الكبير الزعيم علال الفاسي

توصلنا به في آخر لحظة فلم نتمكن من ادراجه في هذا العدد .

اقرأه في العدد المقبل .

مسجد تينمل ، مهد الدولة الموحدية بالاطلس الكبير ، صورة ناطقة بروعة الفن المعماري المغربي في القرن الثاني عشر الميلادي .

